جامعة محمد خيضر بسكرة
كلية الآداب و اللغات
قسم الآداب و اللغة العربية

مذكرة ماستر

الأدب العربي
دراسات أدبية
أدب عربي قديم

رقم : ا.ع. ق/62

إعداد الطالبتين:
رندة مداس
فاتن غنيمي

يوم: 2022/06/28

سمات الحضارة والبداوة في شعر علي بن الجهم

لجنة المناقشة:

اسيا تغليسة		بسكرة	رئيس
جمال مباركي	أ. د.	بسكرة	مقرر
فيصل معا مير	أ.م.أ	بسكرة	مناقش

السنة الجامعية :2022 - 2021

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (1) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (2) اقْرَأْ وَرَبُّكَ
(الْأَكْرَمُ (3) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (4) عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (5

يقول المتنبي:

حسنُ الحضارة مجلوبٌ بتطرية

وفي البداوة حسن غير مجلوب

شكر وعرفان

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "من لم يشكر الناس لم يشكر الله تعالى"

نحمد الله تعالى حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا ملأ السماوات والأرض على ما أكرمنا به من تمام هذه الدراسة.

ثم نتوجه بجزيل الشكر وعظيم الامتنان إلى الدكتور الفاضل **جمال مباركي** حفظه الله وأطال في عمره وإلى أعضاء لجنة المناقشة الكرم.

كما نتوجه بالشكر إلى كل أساتذة قسم اللغة والأدب العربي

فلكم منا جزيل الشكر جميعًا.

مقدمة

يعتقد البعض أن أهل الحضر لا أصل لهم أي أنهم كالزرع الأخضر ينبت عشوائيا إلا أنه وتحت كل ظرف لا يمكن قبول هذا في أرض عاش فيها البشر من القديم وحدة بشرية عرفوا من خلالها أهل الحضر وأهل البادية كما ذكرها ابن خلدون في مقدمته أصل وابتداء في قوله "خشونة البداوة قبل رقة الحضارة" فإن الدلالة هنا تعني أن الحضارة هي عبارة عن طورين أو مرحلتين الأولى وهي البداوة حيث الحياة فيها نوع من الخشونة سواء في المأكل والمشرب والمسكن وغيرها فهي حياة متعة وترحال، لذا فالإنسان من خلالها ينتقل منها إلى المرحلة الثانية ألا وهي حياة الرقة حياة الحضارة ورغيد العيش والمكان الثابت والمأكل الوفير، ولابن خلدون في هذا قول أخر يقول: "الذي كان بدويا في الأصل فإنه لا يتشوف – أي يتطلع – إلى البادية إلا لضرورة أو رقة أو تذكر الماضي والحنين إليه".

وجاء هذا البحث موسومًا بـ: "السمات الحضارة والبداوة في شعر علي بن الجهم" ليمثل أهم المراحل الخاصة من مراحل الشعر العربي في العصر العباسي التي صنعها الشاعر علي بن الجهم بفعل موهبته وصنعه الشعرية.

وانطلاقا من هذا قد وقع اختيارنا على هذا الموضوع ودراسته لسببين هما:

– هو أن الشاعر علي بن الجهم ورغم غزارة انتاجه الشعري وحسه البدوي والحضاري إلا أنه لم يحظ بدراسات مشبعة مستقلة مثل أقرانه من العصر نفسه تبرز جانب البداوة والحضارة في شعره.

– ولذا نحاول من خلال هذا البحث أيضا أن نلم بكل الجوانب والكشف عن مظاهر البداوة والحضارة في ذلك العصرو في شعره على وجه الخصوص.

ومن خلال كل هذا تبادر الى أذهاننا مجموعة من التساؤلات نحاول أن نجد لها حلا وإجابات في متن هذا البحث من خلال الغوص في ديوان الشاعر علي بن الجهم ومن أهمها:

– هل استطاع الشاعر علي بن الجهم أن يُوفق من خلال ديوانه وأن يُلم بين ما هو بدوي وما هو حضاري في ذلك العصر؟

– هل أثرت البيئة في طبعه وثقافته وأسلوبه الشعري؟

– ما أهم السمات البدوية والحضارية في شعره؟

وللإجابة عن كل هذه التساؤلات رسمنا خطة تشكلت من مدخل وفصلين حيث تناولنا في المدخل مفهوم البداوة والحضارة وسماتهما حاولنا من خلاله تعريف كل من البداوة والحضارة لغة واصطلاحا، ثم أعطينا أهم السمات التي ميزت كل من المرحلتين.

وتضمن الفصل الأول الشعر العربي القديم بين البداوة والحضارة حيث ضم في مبحثين هما: المبحث الأول جاء خاص بشعراء البُداة وخصائص شعرهم والثاني الشعراء الحضاريين وسمات شعرهم، وأخذنا الشاعر امرأ القيس نموذجا لذلك لأنه عاش المرحلتين البدوية والحضارية.

أما الفصل الثاني فجاء معنونًا بـ: السمات الحضارة والبداوة في شعر علي بن الجهم، وتضمن هو الآخر مبحثين، الأول السمات البدوية وجاء فيه أهم السمات الطبيعية التي تأثر بها لما كان يعيش في الصحراء فكانت ملازمة له، والمبحث الثاني السمات الحضارية وقد عالجنا فيه بعض السمات الحضارية التي دخلت على حياة الشاعر كوصف الخلفاء والأماكن التي يسكنونها كالقصور وغيرها، وفي الأخير ذيلنا هذه الدراسة بخاتمة لخصت أهم النتائج.

أما عن المنهج المتبع في هذه الدراسة فقد اعتمدنا على المنهج التاريخي حين ربطنا بين الشاعر وبيئته في البادية والحضر، والمنهج الفني لإبراز أهم السمات الفنية في شعر البداوة والحضارة.

ولإثراء كل هذا اعتمدنا على جملة من المصادر والمراجع التي تنوعت حسب الدراسة: ابن خلدون (مقدمة ابن خلدون)، محمد زهير مشارقة (الحياة الاجتماعية عند البدو في الوطن العربي)، أحمد أمين (فجر الإسلام)، ديوان علي بن الجهم.

أما عن الصعوبات التي واجهتنا في هذه الدراسة:

– قلة الدراسات في ديوان الشاعر علي بن الجهم وصعوبة الحصول على ديوانه الذي استغرق منا وقتًا للبحث عنه.

– أما من الجانب المعنوي فهي المشقة التي واجهتنا ونحن بصدد إعداد هذه الدراسة ,إلى جانب العمل في مجالات أخرى، إلا أنه لا شيء يقف في طريق البحث العلمي كما أننا استفدنا كثيرا من هذه التجربة.

وفي الأخير نسأل الله التوفيق والسداد ، وكل الشكر والعرفان إلى من لم يبخل علينا بالتوجيهات والنصائح الأستاذ **جمال مباركي**، شكرا له وأعانه الله على حمل هذه الأمانة وجعله الله ممن قال عنهم: ﴿ورفعناهم مكانا عليا﴾.

وما عسانا إلا أن نقول إن أخطأنا فمن أنفسنا وإن أصبنا فمن الله

فله الحمد والشكر

المدخل: مفهوم البداوة والحضارة وسماتهما

أولا: مفهوم البداوة وسماتها

1- مفهوم البداوة لغة

2- مفهوم البداوة اصطلاحا

3- سمات البداوة

ثانيا: مفهوم الحضارة وسماتها

1- مفهوم الحضارة لغة

2- مفهوم الحضارة اصطلاحا

3- سمات الحضارة

إذا كان الشعر هو إحدى الوثائق التي تفصح عن مشاعر قائليه وأحاسيسهم وعواطفهم، وتكشف عن المُثل والقيم والطبائع والعادات والتقاليد، فإن الشعر الجاهلي يُعّد ناقلا لبعض جوانب الحياة الجاهلية والصور الصادقة لعادات العرب وتقاليدهم ومُثلهم، فيه من القيم الفنية والصور الجميلة الرائعة والمعاني الدقيقة الموحية ما يجعله يُعَّد بحق ذروة الشعر العربي.

ولمّا كان العصر الجاهلي بما حوى من عادات وتقاليد وقيم وأنماط حياة مبثوثة في شعر شعرائه، فالشعر هو المصدر الرئيس في دراسة المجتمع الجاهلي بكل تفاصيله، وجبت دراسته لاستحضار تلك العادات والتقاليد وأنماط الحياتية.

وقد انتقل الشعر من البداوة إلى الحضارة نتيجة اختلاط العرب بالعجم فتأثروا بحضارات عديدة فأصبحت ألفاظ الشعراء سلسة لينة وظهر التجدد اللفظي والمعنوي، وأخذ الشعر يتحضر في صدر الإسلام على إثر الفتوح الكثيرة ولم يكن للشعراء الموالي حظ في صدر الإسلام، فلم يرتفع شأنهم ولم يكثر عددهم وأما في هذا العصر فقد تكاثروا ونموا واشتد خطرهم ونبعت منهم طائفة تقلدت زعامة الشعر واعترف لهم الشعراء.

وقد اعتمدتُ في هذه الدراسة على تناول مفهوم كل من الحضارة والبداوة وإظهار سمات كل منهما، فما هو تعريف البداوة؟ وما هي سماتها؟ وما هو تعريف الحضارة؟ وما هي سماتها؟

أولا: مفهوم البداوة وسماتها

إن البدو ظاهرة عريقة في المجتمع العربي، وُجدت منذ أن وُجد ذلك المجتمع ولا تزال قائمة إلى يومنا هذا، ولعل وجودها واستمرارها كائن في وجود الصحاري

العربية الواسعة المترامية الأطراف، هذه الصحاري التي تفرض على قاطنيها حياة الترحال بسبب الظروف الطبيعية التي تكتنفها.[1]

ففي البداوة افتتح الانسان صلته بالبيئة من حوله، ينتزع بها رزقه فطلبه متوافر على مائدة طبيعية المبسوطة أمامه في كرم واسع حينا وفي شح ضيق حينا آخر.[2]

ويقول الله تعالى في كتابه العزيز: ﴿وَاللهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ﴾[3] وهذه الآية قصدت البدو كلهم سواء بدو الوبر وهم الرحل ونصف الرحل أم القبائل المستقرة أينما وُجِدوا وحَلوا.

1- مفهوم البداوة لغة:

ورد معنى البداوة في لسان العرب بمعنى يرتبط بالسبق والقِدم الزمني: بَدَيْتُ وبَدَأْتُ، لما خففت الهمزة أسرت الدال فانقلبت الهمزة ياء، ومنه قولهم في الحديث: وأهل المدينة يقولون بدّينا بمعنى بدأنا، والبَدْوُ والبَادِيةُ والبَداةُ والبَدَاوة والبِداوة خلال الحَضَرِ.[4]

---

1) محمد زهير مشارقة، الحياة الاجتماعية عند البدو في الوطن العربي، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، ط 1، 1988، ص07.

2) صابر محي الدين ومليكة لويس كامل، البدو والبداوة: مفاهيم ومناهج، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، 1986، ص16.

3) سورة النحل، الآية 80.

4) ابن منظور أبو الفضل جمال الدين محمد (ت 711هـ)، لسان العرب، إعداد عبد الله كبير، دار معارف للنشر، كورنيش النيل، القاهرة، 1119، (مادة بدأ)، باب الباء، ص393.

وأورد الأزهري فكرة التبادل بين البدوي والحضري: البادية اسم للأرض التي لا حضر فيها، وإذا خرج الناس من الحضر إلى المراعي في الصحاري قيل قد بدوا والاسم: البَدْوُ، قلتُ البادية خلاف الحاضرة والحاضرة قوم الذين يُحضِرون المياه ويُنزِلون عليها في حمارة القيظ فإذا برد الزمان ظعنوا عن المياه وبدوا طلبًا للقرب من الكلأ فالقوم حينئذ بادية بعدما كانوا حاضرة وبادون بعدما كانوا حاضرين وهي مباديهم جمع مبدي، وهي مناجع ضد المحاضر، ويقال لهذه المواضع التي يتبدّى إليها، البادون: بادية أيضا.[1]

أما قاموس المحيط فقد ورد فيه "والبدو والبادية والباداة والبداوة: خلاف الحضر، وتَبدّى: أقام بها، وتبادى: تَشبّه بأهلها والنسبة: بداوِيٌّ وبِداوِي بالكسر، وبَدوي محركة نادرة، وبدا القوم بدَاة خرجوا إلى البادية، وقوم بُدّى وبُدًا: بادون وبدوتا الوادي، جانباه، والبدا مقصورا السلح.[2]

وقد ورد في مختار الصِحاح في مادة بدا: و(البدو) و(البادية) والنسب إليه (بَدوي)، وفي الحديث: "من بدا جفا" أي من نزل البادية صار فيها جفاء الأعراب و(البداوة) بفتح الياء وكسرها الإقامة في البادية وهو ضد الحضارة، قال ثعلب: لا أعرف الفتح إلا عن أبي زيد وحده والنسبة إليها (بَدَاويٌ) و(باداه) بالعداوة جاهره بهان و(تبدى) الرجل أقام بالبادية، والتبادى تشبهه بأهل البادية وأهل المدينة يقولون "(بدينا) بمعنى بدأنا".[3]

---

1) الأزهري أبو منصور محمد بن أحمد (ت 370هـ)، تهذيب اللغة، تحقيق عبد السلام هارون، الدار العصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، د.ت، د.ط، مادة (بدأ)، باب الدال، ص203.

2) الفيروز أبادي مجد الدين محمد (ت 817هـ)، القاموس المحيط، تحقيق محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط8، 2005، (مادة بدأ)، باب فصل الهمزة، ص33.

3) الرازي محمد بن أبي بكر، مختار الصحاح، تد عصام فارس الحرستاني، دار عمار للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط10، 2008، (مادة بدأ)، باب الباء، ص18.

أمّا في معجم الوسيط فقد جاء: "البداوة: الحياة في البادية ويغلُب عليها التنقل والترحال".[1]

إن المعاني والدلالات المرتبطة بها تكاد تكون أقرب المعطيات المعجمية ارتباطا بالمفهوم الاجتماعي للبداوة، فالبداوة قِدم ومنهج حياة له قوانينه وثقافته التي يَغلب عليها طابع الخشونة المتأتية من عدم الاستقرار الذي تتطلبه حياة البحث عن الماء، الكلأ، كما أن طبيعة الحياة البدوية صاغت حياة أفرادها صياغة تعتمد الهيمنة الذكورية بوصفها القوة الأكثر فاعلية والأجدى في بيئة لا ترحم الضعف، [2] والبدوي لا يلجمه قانون الدولة، لأن له قانون القبلي البيئي الخاص الذي يشعره بأنه سيد نفسه شديد التعويل على رابطة الدم في كل طقوس حياته.

2- مفهوم البداوة اصطلاحا:

لعل أول ما يتبادر إلى الذهن عند ذكر كلمة بادية عادة معنى الصحراء شديدة الحرارة ، وهي بذلك إما أنها سهوبا شاسعة جرداء، أو كثبان رملية متحركة كما أن التنقل والترحال الدائم بحثا عن الماء والكلأ هي السمات الرئيسية المميزة لسكانها الذين يُسمون البدو الرحل أو الشعلة التي تضيء الصحراء.[3]

وثمة اختلافات بين الدارسين حول مفهوم البداوة، فمنهم من يُعَرِّفها على أنها نمط الحياة القائم على التنقل الدائم للإنسان في طلب الرزق حول مراكز مؤقتة يتوقع مدى استقرار فيها على كمية الموارد البشرية والمعيشة المتاحة من ناحية

1) أنس ابراهيم، معجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، دار الشروق الدولية، القاهرة، مصر، 2004، مادة بدأ، ص45.
2) اليوزبكلي مؤيد، البطولة في الشعر العربي القديم قبل الاسلام، دار الشؤون الثقافة العامة، 2008، ص52.
3) السعدي اسماعيل، الغريبي نسيمة، تجربة توطين البدو الرُحل، مجلة الباحث الاجتماعي، العدد 10، 2010، ص365.

وعلى كفاية الوسائل المستعملة في استغلالها من ناحية أخرى وعلى مدى الأمن الاجتماعي والطبيعي الذي يمكن أن يتوافر من جهة ثالثة.[1]

وجاء في تعريف آخر أن البداوة هي مرحلة متميزة من مراحل النمو الحضاري الذي عادة ما يتناول بالتغير جانبين أساسيين هما: الجانب المادي ويشمل ما يستخدمه البدوي من أدوات مختلفة من عناصر البيئة الطبيعية التي تحيط بها والجانب غير المادي ويتناول العادات والتقاليد والقيم وغيرها. [2] فالبداوة تنطبق على نمط حياة فئة من السكان الذين يتميزون بخصائص معينة وسلوك ترسمه البيئة المحيطة بهم، والتي لا تسمح بإقامة حياة سكانية مستقرة فهي تعني الترحال وعدم الاستقرار في مكان ثابت طوال العام، إذ تضطر بعض الجماعات أن تغير مناطق إقامتهم من حين لآخر أو من فصل لآخر سعيا وراء الغذاء والرعي.[3]

والبدو أصل المجتمعات كلها وهم تبعًا لذلك أقدم من الحضر "إن الانسان يبدأ أولا بالسعي للحصول على ما يسد رمقه، ويكفل له الاستقرار والاستمرارية في حياته، وهذه هي بداية كل التجمعات البشرية ومنها تأتي كلمة بادية التي قد تعني من بين معانيها الكثيرة البداية، وبما أن الحضر مُشغَلون بالترف والكمال في أحوالهم، فيستحيل أن يكونوا بحال من الأحوال سابقين على البدو من حيث النشأة، لأن الانشغال بالضروري أقدم وأسبق على الانشغال بالكمالي، وبما أن الضروري أصلي والكمالي فرع ناشئ عنه، فالبداوة أصل الحضارة وسابق عليه، وخشونة البداوة قبل رقة الحضارة، والمدينة غاية للبدوي يجري إليها، وهذا شأن

1) توني يوسف، معجم المصطلحات الجغرافية، القاهرة، دار الكتاب الجامعي، 1994، ص79.
2) العيد صلاح، رعاية البدو في المملكة العربية السعودية، القاهرة، الجامعة العربية، 1985، ص49.
3) السعدي اسماعيل، الغريبي نسيمة، تجربة توطين البدو الرحل، ص368.

القبائل البدوية كلها، أما الحضري فلا يعود للبادية إلا لضرورة تدعي أو تدعوه إليها.[1]

ويُعَّرف ابن خلدون البدو بقوله: إن أهل البدو هم المنتحلون للمعاش الطبيعي من الفلح والقيام على الأنعام، وأنهم مقتصرون على الضروري في الأقوات والملابس والمساكن وسائر الأحوال والعوائد، ومُقَّصرون عما فوق ذلك من حاجي أو كمالي فمن كان معاشه منهم في الزراعة والقيام بالفلح كان المقام به أولى من الظعن وهؤلاء سكان المدن والقرى والجبال وهم عامة البربر والأعاجم، ومَن كان معاشه من السائمة مثل البقر والغنم فهم ظواعن في الأغلب، ويُسموْن شاوية، أما من كان معاشهم في الإبل فهم أكثر ظعنا وأبعد في الفقر مجالا فكانوا لذلك أشدُ الناس توحشًا، وتنزلوا من أهل الحواظر منزلة الوحش غير المقتدر عليه والمفترس من الحيوانات العجم.[2]

إن تعريف ابن خلدون البدو هو سعي منه لتشكيل حقل معرفي للمصطلح، يقول ابن خلدون: "البدو هو المقتصرون على الضروري في أحوالهم، العاجزون عما فوقه، وأن الحضر المعتنون بحاجات الترف والكمال في أحوالهم وعوائدهم، ولا شك أن الضروري أقدم من الحاجي والكمالي وسابق عليها لأن الضروري أصل والكمال فرع ناشئ عنه، فالبدو أصل للمدن والحضر وسابق عليهما لأن أول مطالب الانسان الضروري.[3]

ويستند التعريف الاجتماعي للبدو إلى الأحوال الاجتماعية ونمط المعيشة وطراز الحياة لوصف جماعة ما بانها حضارية أو بداوية أو بين بين، وعلى ذلك

---

1) ابن خلدون عبد الرحمان بن محمد (ت 1382هـ)، مقدمة ابن خلدون، تحقيق عبد الله محمد الدرويش، دار العرب، دم، 2004، 57/1.

2) المرجع نفسه، 193/1-194.

3) المرجع نفسه، 59/1.

فالبداوة حالة من حالات الاجتماع معروفة في الصحاري كما هي معروفة في الصحراء العربية وهي وظيفة اقتصادية، لأن جماعة البدو يستفيدون من المراعي الواسعة ويفيدون، فهم يمسحون المساحات الواسعة من العشب الأخضر ليقلبوها بفضل مواشيهم إلى لبن سائل أو جبن جامد، ثم ينقلونه إلى أهل الحضر.[1]

ومن خلال ما تم استعراضه حول مفهوم البداوة لغة واصطلاحًا، يتبين أن البداوة تتقارب في معناها اللغوي من المعنى الاصطلاحي، ويمكن القول إن البداوة نمط حياة لأناس طغت على حياتهم أجواء الصحراء فتأقلموا معها ليستطيعوا العيش في تلك الصحراء القديمة.

3- سِمات البداوة:

كانت حياة البداوة قديمًا تدور بين الحل والترحال بحثًا عن الكلأ والماء غالبا ما يكون الرحيل جماعيا، وهذا ما يميز أبناء البادية، وكانت الجزيرة العربية لتباين تضاريسها وتنوعها مسرحًا للترحال وهو ما كان يُسمى بالرحيل المر لتفريقهم بين الأحباب والجيران، وفي الوقت نفسه يجدد ذكريات المنازل.

وعند الحديث عن سِمات البداوة نتحدث عن أدوات البدوي في العصر الجاهلي من مسكن وملبس وطعام وشراب وزينة وغيرها، وذلك من خلال الاستقصاء ذلك في الشعر الجاهلي، فإنَّ المرء يجد نفسه أمام ندرة تكاد تكون معضلة وذلك لتوخي الحذر في تناول ذلك بخصوصية البدو العرب في العصر الجاهلي.

يقول **أحمد أمين** : "وسكان البادية كانوا يعتمدون في حياتهم على الماشية ومن ثم كان أول ما يعنيهم هو البحث عن الغذاء لهذه الماشية، فكانوا يخرجون بها للأمكنة التي توجد بها الأعشاب والنباتات التي تصلح غذاء لها، وقد يمكثون

1) مشارقة، الحياة الاجتماعية عند البدو في الوطن العربي، ص27.

في هذه الأمكنة التي توجد بها الأعشاب والنباتات التي تصلح لهم الأماكن المعشبة بعض الوقت، ولكن مهما كان مكثها فيها طال أم قصُرَ فإنهم لم يتخذوها مواطن إقامة ثابتة بل كانوا إذا انتهى موسم عادوا إلى مواطنهم ينتظرون أن يَحوُل الحول وينزل الغيث".[1]

فطابع البداوة هذا من أهم سمات الرؤية العربية القديمة، فمن بين السمات التي ميزت البدوي ما يلي:

3-1/ المسكن:

لم تكن الخيارات كثيرة أمام البدوي في أن يختار مسكنه فهو أمام خيارات محددة تفرضها طبيعة حياته في الصحراء، فقد تنوعت مساكن البدوي من: بيت الشَعر، الخيمة، الخباء المضارب...

أ/ بيت الشَعر:

نجد في تعريف البادية: "أن البدوي مسكنه المضارب والخِيام وغيرها ولا يستقر في موضع معين".[2]

وفي قوله تعالى: ﴿وَّاللّه جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ
وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ﴾.[3]

البيت من الشَعر ما زاد على طريقة واحدة، يقع على الصغير والكبير وقد يقال للمبنى من غير أبنية التي هي الأخبية، والخباب: هو بيت صغير من

1) أحمد أمين، فجر الاسلام، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط10، 1965، ص9.
2) الصفدي نعيم أسعد والأسطل، عبد اللطيف مصطفى، الاعراب في ضوء التربية الدينية، مجلة الجامعة الاسلامية، المجلد 18، العدد1، 2010، ص69.
3) سورة النحل، الآية 80.

الصوف أو الشَعر، فإذا كان أكبر من الخباء فهو بيت، ثم مظلة إذا كبرت عن البيت وهي تسمى بيتا أيضا إذا كان ضخما معروفا، وقول الشاعر:

وبَيْتٍ على ظَهْرِ المَطيّ بَنَيْتُهُ بأسْمَرَ مَشْقُوق الخَيَاشِيم يَرْعَفُ [1]

والبيت هنا هو بيت الشَعر الذي قاله الشاعر وهو يمتطي جواده أو ناقته، وإنما جاء بيت الشَعر مشبه له ببيته الذي صُنع من الصوف أو الشعر الماشية (ماعز) فهو يعرف هذا البيت جيدًا، فبيت الشَعر مفضل عند البدوي ولعل ذلك يبدو واضحًا في البيت السابق، فالبدوي بطبعه يحب الحرية حتى في مسكنه ونلحظ أنه كذلك في أرض واسعة ولا يوجد لهذا البيت بابًا يُغلق، فبابه دائما مفتوح ولعل هذا ما يدل على الكرم العربي الذي لا يُوصِد بابه.

ب/ الخيمة : تُعّدُ من مساكن البدوي في العصر الجاهلي، وسُميت خيمة لأن صاحبها يتخذها كمنزل الأصلي، حيث قال **ابن الأعرابي** : "الخيمة لا تكون إلا أربعة أعواد ثم سقف بالتمام ولا تكون من ثياب، قال أمّا المضلة تتكون من ثياب وغيرها"،[2] يقول **زهير** يمدح **هرم بن سنان:**[3]

أربتْ بِهِ الأرْواحُ كُلُّ عَشِية فَلَمْ يَبْقَ إلا آل خَيْم منضدِ

وأصل التخييم الإقامة فسُميت بذلك لأنها تكون عند النزول فسُميت خيمة، ولعل المفهوم اللغوي لّلفظة قد اختلف في معناه وذلك من خلال ورود معناها في المعاجم اللغوية، فقد أوردت المعاجم القديمة أن الخيمة لا تكون من القماش

---

1) ابن منظور، لسان العرب، مادة (بيت)، وأورد ابن منظور في هذا البيت: لم أعثر على قائلهِ 223-224.
المطي: المراكب/ **الخياشم:** مفرد خيشوم، وهو أقصى الأنف.

2) ابن منظور، لسان العرب، مادة (خيم)، باب الخاء، ص1308-1309.

3) زهير ابن أبي سلمى، الديوان، تحقيق كرم البستاني، دار صادر، دار بيروت، دت، ص36.
أربت: أقامت، **الأرواح:** الرياح، **الآل:** الشخص، **الخيم:** مفرد خيمة، **منضد:** المرصوف بعض فوق بعض، انظر ديوان ص36.

كرأي **ابن الأعرابي** ولكن في العصر الحديث فالخيمة المعزولة هي من قماش، ويقول **ابن منظور** في تعريفه للخيمة: "أنها بيت يتخذ من الصوف والقطن".[1]

ب-1/ الحصر والبسط:

من أدوات المسكن التي كان يستخدمها البدوي في العصر الجاهلي الحصر والسّجاد والبسط، وكثيرا ما ذَكر الشعراء الحصر وترقيمها وزخرفتِها، يقول **النابغة الذبياني** وقد شبّه مجرَ الرياح على النؤي المتثلم بحصر تُنمِقُهُ الصوانع:[2]

كأنّ مَجَر الرَامِسَات ذُيولَها عَلْيَاه حَصيرٌ نَمَّقَتهُ الصَوَانِعُ

علَى ظَهْرِ مُبْنَاة جَديدٍ سيورُها يَطوفُ بِهَا وَسَط اللَطِيمَة بَائِعُ

فيُطافُ به وسط اللطيمة ليُخبِر أنه متناه في الجودة وإحكام الصنعة، وكانت بعض الحصر منسوجة من سيور الجلد يقول **عبدة بن الطيب:**[3]

وَذكَرَ فِيهَا بَعْدَما قَدْ نَسْيتَهَا دِيَارٌ عَلَيْهَا وَابِلُ مُتَبَعِّقٌ

بِأَكْتَافَ شَمَلتْ كَأَنَّ رُسُومَها قَضِيمُ ضَاعَ فِي أَدِيمٍ مُنَمقٌ

ومنها المزادة والسقاء والرّف واللخي والوطب من أوعية السوائل كالماء والخمر واللبن، وغيرها من الأوعية الجلدية التي كانوا يستخدمونها في حياتهم اليومية بالإضافة إلى الدفوف والسروج والأرسان والأوتار السقي والكنائن وغيرها.[4]

ب-2/ النمارق والستور:

1) ابن منظور، لسان العرب، مادة (خيم)، ص1308-1309.

2) النابغة الذبياني، الديوان، تحقيق أبو الفضل ابراهيم، القاهرة، دار المعارف، دت، ص31.

3) ابن طيب عبدة، الديوان، تحقيق يحي جنبوري، بيروت، دار التربية للنشر والتوزيع، 1971، ص53.

4) ينظر، الرزكلي خير الدين بن محمود، الأعلام دار العلم للملايين، بيروت، 2002، 172/4.

وإلى جانب الحصير كانت النمارق والستور، والنمرقة هي ضرب من الوسائد يقول **عبيد بن الأبرص** في النمارق وهو نصف ليلة ممطرة:[1]

بِتْنَا وبَاتتْ عَلَى نَمَارِقِهَا حَتّى بَدَا الصُبحُ عَيْنُها أرِقه

أما الستور فقد أكثر منها الشعراء وخاصة عندما يصفون ظعن محبوباتهم وهي في الغالب بسط مزخرفة موشاه أو ستور رقيقة مدلاة يقول **زهير ابن أبي سلمى:**[2]

عَلَـوْنَ بأنْمَـاطِ عِتَــاقٍ وكِلّـةٍ وِرَادٍ حوَاشِيها مُشَاكَهة الدَّمِ

كَأنّ فُتَاتَ العِهْنِ فِي كُلِّ مَنْزِلٍ نَزَلنَ بِهِ حُبَّ الفَنَا لَمْ يُحَطَّمِ

ظَهَرْنَ مِنْ السُّوْبَانِ ثُمَّ جَزَعْنَهُ عَلَى كُلِّ قَيْنِيٍّ قَشِيْبٍ وَمُفْأَمِ

ويذكر **العدي بن زيد** الستور الرقيقة التي يتسارق النسوة النظر من خلاله يقول:[3]

يُسَارِقنَ مِ الأسْتَارِ طَرفًا مُفتّرا وَيبْرُزنَ مِن فَتْقِ الخُدُورِ الأَصَابِعَا

ويظهر من خلال هذا البيت أن الستور مأخوذة من التستر فقد كانت تستر فيه النساء كي لا يظهرن على الغرباء.

3-2/ أدوات الطعام والشراب:

لعل أكثر ما تتباين فيه الشعوب ماضيًا وحاضرًا هو تباينها في طعامها وشرابها وفي طريقة اختيار غذائها، ومزج أنواعه وتركيبها وإعدادها، ويظهر هذا التباين في مختلف البلدان والبقاع باختلاف العادات والتقاليد والتفكير، وكل خطوة يخطوها الطعام في إطار التطور إلا ويبرز فيها علم الأمة وحذقها في

1) ابن منظور، لسان العرب، (مادة نمرق)، باب النون، ص4547.

2) ابن أبي سلمى، الديوان، ص76.

3) العبادي عدي بن زيد (الديوان)، حققه وجمعه محمد جبار، شركة دار الجمهورية، بغداد، 1995، ص39.

صناعته وذوقها في حُسن اختياره، كما يُصور نظام المعيشة والحياة الاجتماعية والاقتصادية، وقد تعددت أدوات الشرب والطعام في البادية وتعددت تسمياتها كذلك فاختلفت أحجامها لتدّل في نهاية الأمر على الجُود والكرّم وقد تغنى بها الشعراء في أشعارهم وتنافسوا في ذلك فاختلفت التسميات في ذلك بين الجفان والقدور والدِلاء ... فقد كانت هذه الأواني في الغالب محلية الصنع ميزوا بعضها على بعض وفضلوا ما صُنع من ذهب وفضة.

أ/ **الجفان** : يأتي ذكر الجِفنة والقِدر مرتبطا بالكلام على الضيافة غالبا لأن الجفنة ترمز إلى الضيافة والجود، لذا فقد كثر ذكرها في أشعارهم فيَذكُر **لبيد ابن ربيعة** مُفتخرًا أن جفان الضيف تُملأ لبنا خالصا بقوله:[1]

تَكُرُّ أحَاليبُ اللَّديد عَلَيْهِمُ وَتُوفى جِفانُ الضَّيْف مَحْضًا مُعَمَّما

فقد اعتاد الأجواد منهم تقديم الطعام في جِفان كبيرة لدلالتها على كثرة الآكلين وعلى الكرم الذي يجلب المحمدة وحُسن الذكرى، فكما اتخدها بعضهم على أنها شرف ونُبل، فمثل هذه الأواني لا تكون إلا في بيت الكرماء الذين اعتادوا إطعام الجِياع.

كما ذكر سمو آل ابن العادية ينوه بجفانه قائلا:[2]

وفِي البَيْتِ ضَخْمَاءُ مَمْلُوءَة وجَفْنٌ عَلَى هَمِعٍ مُدْهَقِ

ضخماء مملوءة: يعني قدرًا أسود، **الهمع:** الزق الذي يرشح ويسيل، **مدهق:** مملوءة، **الجفان:** جمع جفنة أعظم من القصاع.

1) ابن ربيعة، الديوان، تحقيق احسان عباس، الطبعة الحكومة، الكويت، 1984، ص123.

2) ابن عاديا السموأل، الديوان، شرحه عمر فاروق الطباع، دار الأرقام للنشر، دم، 1997، ص27.

ولا شك أن البدو في ذكرهم الجفنة بالغوا قليلا فمن غير المعقول أن الجفنة كبيرة لحد ذلك الكِبر، فقد جاء في **عيون الأخبار** أنه كان **لعبد الله بن جدعان** جفنة يأكل منها القائم والراكب وذكر غيرهُ أنه وقع فيها صبي فغرق.[1]

ب/ القدور: المُلاحظ أن أكثر صور القرى تواترًا في الشعر العربي القديم صورة القدور والجفان، ولِما بينهما من صلة ونسب وردتا مقترنتين في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ﴾،[2] وافتخر بها الشعراء معا، كما اكتفوا بذكر القدر أو الجفنة وكنّوا بهما عن كرم الضيافة وحسن الرفد، وقد عُدّت القدور علامة للضيافة، وكان جُود المرء يُقاس بعدد ما يملكه من القدور والجفان، وللدلالة على كثرة ضيوفهم.

ج/ الدِلاء: ويصنعون من الجلود دِلاء التي يستخدمونها في استخراج الماء من الآبار أو يقابلون بينها على البكرة في سقي المزروعات وريِّها، ويَرسُم **لبيد بن ربيعة** صورة لهذه الدِلاء الأخيرة وكيف يُقابِل بينها فيقول:

بِمُقابِلٍ سَرِبِ المَخارِزِ عِدلُهُ قَلِقُ المَحالَةِ جارِنٌ مَسلومُ[3]

وفي هذا البيت إشارة إلى أن هذه الدلو ليست مما ألف الناس من الدِلاء، بل هي دِلاء ضخمة رحبة الحوف تتسع لحمل الكثير من الماء.

3-3/ الملبس والزينة:

أ/ الملبس: كان الانسان قديما في حاجة إلى ستر عورته واتقاء نفسه من المطر والبرد والحر، وكان أول ما لفت نظر الانسان هو جلد الحيوان، فكان اصطياد حيوان فيربيه

1) ابن قتيبة، عيون الأخبار، القاهرة، دار الكتب، دت، 268/3.
2) سورة سبأ، الآية 13.
3) ابن ربيعة، الديوان، ص123.

ويتخذ من صوفه أو شعره نسيجًا يرتديه، فكان لباس العرب آنذاك يتكون من قميص وحلة والإزار والشملة والعباءة والعمامة فلم يعرف العرب السراويل ولا الأقبية.

ومن أهم الأدوات التي تختص بملبس البدوي في العصر الجاهلي ما يلي:

أ-**1/ الإزار**: وهو الملحفة، يُذّكرُ ويُؤَنث، وقد تلحقه تاء التأنيث فيقال (الإزارة)، [1] وجمع الإزار: أزر، وجاء **طرفة بن العبد** بهذا الجمع في قوله يصف سرعة الخيل التي تطير الإزرة المشدودة من سرعة جريها:[2]

فَهيَ تَردي فَإِذا ما أَلهَبَت طارَ مِن إِحمائِها شَدُّ الأَزُر

وقيل سُمي الإزار إزارًا لحفظه صاحبه وصيانته.

أ-**2/ البِجاد**: وهو كساء مخطط من أكسية العرب وقيل: إذا غزل الصوف يسرة ونسج بالصيصة فهو بِجاد وهو جمع بجد.

أ-**3/ البُرقع**: هو غطاء للوجه فيه فتحتان للعين، وهو لنساء العرب ويوضع كذلك على أوجه الدواب.[3]

وقال **النابغة الجعدي** يصف خشف[4]

وَخَدَّاَ كَبَرْقُوعْ اَلْفَتَاةُ مُلَمِّعَ ورُوقِينْ لِمَا يُعِدُّوا أَنْ تَقَشَّرًا

أ-**4/ النعال**: كانت النعال تُصنع من الجلود وأفضلها السِبت، وهي النعال المتخذة من الجلود المدبوغة، وخصّه بعضهم بالمتخذ من جلود البقر خاصة وسُمي سبتًا لأن شعره

1) ابن منظور، لسان العرب، (مادة أزر)، باب الهمزة، ص80.
2) طرفة بن العبد، الديوان، تحقيق فوزي عطوي، دار صعب، بيروت 1980، ص176.
3) ابن منظور، لسان العرب، (مادة بخنق)، باب الباء، ص223.
4) النابغة الجعدي، الديوان، جمعه واضح الصمد، بيروت، دار صادر، 1998، ص40.

سُبتَ عنه أي (حُلق وأُزيل بعلاج الدباغ)، [1] وتسترعي صورة صانع النعال الجلدية لبيد بن ربيعة فيرصده وهو يُخرِج مِخرَزهُ من جلد النعل ويعدده فيه ثانية فيشبه به حركة قرني الثور وهو يطعن بهما كلاب الصيد، يقول **لبيد** :[2]

يَشكُ صِفَاحَها الّروقِ شَرزًا كَمَا حَرجَ السِّرادُ مِنَ النِعَال

ب- الزينة : كانت المرأة العربية في الجاهلية تعتمد على التزيين بمصوغات مختلفة استجابة لما فُطرن عليه من حب الزينة لقوله تعالى:

﴿أَوَمَنْ يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾،[3] فأطلقت كلمة الحلية على كل معنى يَسُرُ الناظر ويسعده فينتقل هذا من المادة إلى الروح ومن الذوق إلى النظر، يقول **حاتم الطائي** في زينة محبوبته:[4]

تَهادى عَلَيها حَليُها ذاتَ بَهجَةٍ وَكَشحاً كَطَيِّ السابِرِيَّةِ أَهضَما.

وَنَحراً كَفى نورَ الجَبينِ يَزينُهُ تَوَقُّدُ ياقوتٍ وَشَذرٌ مُنَظَّما.

فقد شملت كلمة الزينة في الحياة الجاهلية على كل ما هو مصنوع من فضة وخرز وذهب ونحاس، وكذلك كان للمرأة العربية زينة أو أدوات زينة أخرى كالعطر والسجنجل وحناء والوشم ... وهذه الأدوات تدل على أن المرأة العربية والبدوية قديما كانت تتزين وتتعطر.

1) ابن منظور، لسان العرب، (مادة سبت)، باب السين، ص1511.

2) لبيد ابن ربيعة، الديوان، ص79.

3) سورة الزخرف، الآية 18.

4) حاتم الطائي، الديوان، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 2004، ص234.

ثانيا: مفهوم الحضارة وسماتها

1- مفهوم الحضارة لغة:

الفعل الثلاثي لهذا المصطلح هو (حضر)، ومنه تصريفات عديدة، وبالعودة تاريخيا إلى أول معاجم اللغة العربية نجد غيابا لهذه الكلمة، فإذا ما فتحنا كتاب العين **للخليل ابن أحمد الفراهيدي**، فلا نجد لها أثر في مادة (حضر)، [1] وإذا ما عُدنا إلى المعاجم التي عاش أصحابها ما بين القرنين الثالث والرابع هجري، فنجد الكلمة مُسطرة في معاجمهم.

ولقد جرى اللغوي النحوي **ابن فارس** على عادته المبدعة في الكشف عن جذر الكلمة والجامع لأصولها والمفرع لاشتقاقاتها، فقال الحاء والضاد والراء إيراد الشيء وورود ومشاهدته، وقد جيء ما يُبعد عن هذا وإن كان الأصل واحدًا، فالحضر خلاف البدو وسكون الحضر الحضارة.[2]

قال **القظامي:**

وَمَن تكُنِ الحضارةُ أَعجَبَتهُ فأيَّ أنـاسِ باديـةِ تَرَانـا

قال **الصاحب ابن عباد** "الحِضارة والحضارة وهي ضد البداوة".[3]

1) ينظر، الفاراهيدي أبو عبد الرحمان الخليل، كتاب العين 8 مج، تحقيق الدكتور مهدي المخزومي والدكتور ابراهيم السامرائي، ط1، بيروت مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، 1408هـ/1986م، ج3، ص103.101، مادة حضر.

2) ينظر، القرشي أبو زيد محمد بن أبي الخطاب، جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والاسلام، 1 مج، تحقيق علي محمد البجاوي، ص642.

3) ابن عباد، كافي الكفاءة اسماعيل الصاحب، المحيط في اللغة، 11مج، تحقيق الشيخ محمد حسم آل ياسين، ط 1، بيروت، عالم الكتب، 1414هـ/1994م، ج2، ص439، مادة حضر.

واحتفت المعاجم المختصة بمفردات القرآن الكريم بكلمة الحضارة، **فالأصفهاني** استعرض الفعل الثلاثي (حضر) وما اشتق منه في القرآن الكريم، وقال: "الحضَر خلاف البدو، والحِضارة والحَضارة: السكون بالحَضَر".[1]

2- مفهوم الحضارة اصطلاحا:

لقد تناول الكثير من العلماء والمفكرين تعريف الحضارة، ومن بينهم ابن خلدون الذي تطرق في مقدمته فقال: "بأنها الترف وإحكام الصنائع المستعملة في المطابخ والملابس والمباني والفُرش والآنية والفنون والعلوم، إنها حالة استقرار الملك المناقضة للبداوة، فحين تتسع أحوال المعاش للبدو، بعد تغلبهم على الحضر ويحصل لهم ما فوق الحاجة من الغِنى والرفه دعاهم ذلك إلى السكون والدعة والتأنق فيها وتوسع البيوت واختطاط المدن والأمصار للتحضر".[2]

وفي تعريف آخر: الحضارة هي محاولات الانسان الاستكشاف والاختراع والتفكير والتنظيم والعمل على استغلال الطبيعة للوصول إلى مستوى حياة أفضل، وهي حصيلة جهود الأمم كلها.[3]

والحضارة "كل ما ينشئه الانسان في كل ما يتصل بمختلف جوانب نشاطه ونواحيه عقلًا وخلقًا ومادةً وروحًا دنيا ودينًا، فهي في إطلاقها وعمومها قصة الانسان في كل ما

1) الأصفهاني أبو القاسم الحسين بن محمد، معجم المفردات ألفاظ القرآن الكريم، ضبطه وصححه ابراهيم شمس دين، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية، ص137.

2) جمال شعبان وآخرون، فكر ابن خلدون الحداثة والحضارة والهيمنة، مركز الدراسات الوحدة العربية، سلسلة الكتب المستقبل العربي، دار النشر بيروت، ط1، فبراير 2007، ص82.

3) أبو خليل د شوقي، الحضارة العربية الاسلامية وموجز عن حضارات سابقة، مج 1، ط2، بيروت، دمشق، دار الفكر، 1417هـ/1996م، ص20.

أنجزه على اختلاف العصور وتقلب الأزمان، وما صورت به علائقه بالكون وما وراءه".[1]

وفي تعريف آخر الحضارة "نظام اجتماعي يجمع بين العناصر المعنوية كالأفكار والعادات والأعراف والقيم والأذواق والمشاعر والمفاهيم والعناصر المادية، كالحِرف والمكاسب والصناعات والأطعمة والألبسة والوسائل والأساليب".[2]

وهناك من حلل الحضارة إلى ثلاثة أصناف:

"الصنف الأول: ما يخدم الجسد ويمتعه من وسائل العيش.

الصنف الثاني: ما يخدم المجتمع الإنساني.

الصنف الثالث: ما يأخذ بيد الانسان إلى السعادة الآخرة التي تبدأ منذ إدراك الانسان ذاته والكون حوله".[3]

من خلال تعريف **ابن خلدون** للحضارة، نفهم بأنها ذلك الترف الذي يمس جميع المجالات من المباني والفرش والصنائع والمُلك وهي عكس البداوة، هي الغنى والرفاهية وتشييد المدن والأمصار ...

وفي التعريف الثالث: يجعل الحضارة هي الإنتاج ويخص به إنتاج الانسان ماديا وروحيا وهذا فيه صواب وفيه نقص عند اختيار تعريفها للحضارة.

في التعريف الرابع: جمع بين العناصر المادية والأفكار والعادات ولكنه لم يَخْلص إلى تعريف للحضارة.

---

1) الكردي ابراهيم سليمان، المرجع في الحضارة العربية الاسلامية، الاسكندرية، مركز الاسكندرية للكتاب، 1999، ص13.

2) الكيلاني د. ابراهيم زيد وآخرون، دراسات في الفكرة العربي الاسلامي، مج1، ط3، عمان، 1991، ص247.

3) الميداني، عبد الرحمن حسن، الحضارة الاسلامية أسسها ووسائلها وصور من تطبيقات المسلمين لها ولمحات من تأثيرها في سائر الأمم، مج1، ط1، دمشق، دار العلم، 1418هـ/1998م، ص19.ص20.

تعددت تعريفات للحضارة هناك من ربطها بالإنتاج المادي للإنسان وهناك من يعود بالحضارة إلى الوجه المادي فقط كون الانسان مُكتَشِفًا ومخترِعًا لحياة أفضل.

اهتمت التعريفات السابقة بشكل الحضارة وأثرها، ومنها ما حصرها في الحضر وهذا خطأ، فالبداوة لها حضارتها والريف له حضارته وأهل الحضر لهم حضارتهم وهذا واضح لا إنكار له.

3- سمات الحضارة:

تعددت المظاهر الحضارية المادية عند عرب الجاهلية، كانت تأتي في مجملها استجابة لظروف البيئة وطبيعة الحياة التي كان يعيشها الانسان العربي في ذلك العصر.

3-1/ نماذج من أنواع الملابس وسمتها الحضارية:

عُرفت الملابس بأنواعها المتعددة قبل العصر الجاهلي عند كثير من الأمم السابقة، وتطورت من حيث صناعتها ونسجها بمرور الزمن لكي تتناسب وطبيعة الحياة في كل عصر من العصور، ومن المعروف أن حياة العربي في الجاهلية تتسم بالبساطة في طرق معيشتهم وهذا ينعكس على كل ما يتعلق بمقومات الحياة عندهم، والملابس بأنواعها المتعددة هي جانب مهم من جوانب حياتهم البسيطة، ولكنها بعد ذلك أخذت صناعتها تتطور حينا بعد حين وبخاصة بعد أن اطلع العرب على حضارة الأمم المجاورة لهم، واتسع نطاق التجارة بين عرب الجاهلية والأمم الأخرى، وأيا كانت طريقة الحصول على الملبس فتعدد صناعتها وأنواعها أمر في غاية الأهمية للدلالة على مظهر حضاري مادي يرتبط بحياة العربي الاجتماعية والشعر الجاهلي مصدر وثيق دال على هذا المظهر وذلك أن الشعراء تحدثوا عن أنواع الملابس والمواد الخام التي كانت تُصنع منها في العصر الجاهلي.

وكشف الشعر أيضا عن صناعة النسيج والحياكة والخياطة، كما كشف عن أدوات هذه الصناعة، وأهم أنواع الملابس التي اشتمل عليها الشعر الجاهلي والتي تدل على حضارة ذلك العصر هي:

الأتْحمِيّ: والأتحمية ضرب من البُرود اليمانية، فيها خطوط خضر وحمر، [1] وهي عند العرب من الثياب التي تلبسها المرأة إذا متعها زوجها.[2]

وقد وصف الشعراء النساء اللاتي لبسن هذا النوع من الثياب، ومن ذلك قول **بشر ابن أبي حازم** في وصف صاحبته:[3]

فَيا لَكِ حاجَةً وَمِطالَ شَوقٍ قَطعَ قَرينَةٍ بَعدَ اِئتِلافِ

كَأَنَّ الأَتحَمِيَّةَ قامَ فيها لِحُسنِ دَلالِها رَشَأٌ مُوافي

ويبدو أن هذا الضرب من الثياب كان بحاجة إلى عمال مَهرة يشْرفون على حياكته وصناعته، وإلى مادة خام توافرت في اليمن، وهي مصدر هذا النوع من الثياب، إذ يتم غزله ثم يُصبغ ويُنسج فيأتي موشيا ومعصبًا، وهذا ما يبدو في قول **علقمة الفحل** يتحدث عن بعض أنواع الملابس:

سَماوَتُهُ أَسمالُ بُردٍ مُحَبَّرٍ وَصَهوَتُهُ مِن أَتحَمِيٍّ مُعَصَّبِ[4]

البُرود: يبدو أن بلاد اليمن قد اشتهرت على وجه الخصوص بكثير من أنواع الملابس ومنها البُرود، وهذا عائد إلى تحضرها وكثرة بها من مواد خام قابلة لصناعة أنواع متعددة من الملابس، والبُرود من ثياب المرأة التي تبدو فيها معالم حضارية بارزة سواء أكان ذلك في طريقى صنعها أم في تلك الخطوط والرسومات التي تُوشى بها حتى إنها عُرفت

1) ابن منظور، لسان العرب، (مادة تحم)، ص321.

2) أحمد مطلوب، معجم الملابس في لسان العرب، مكتبة لبنان، بيروت، 1995، ص37.

3) ديوان بشر بن أبي حازم الأسدي، تحقيق عزة حسن، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 1972، ص133-142.

4) ديوان علقمة الفحل، تحقيق لطفي الصقال ودرية خطيب، ط1، دار الكتاب العربي، حلب 1979، ص119.

بجودتها وغلاء ثمنها، وقد أشارت المعاجم إلى أن البرد من الثياب هو ثوب مخطوط وخص بعضهم به الوشي، وفيه لمع سواد وبياض يمانية.[1]

ووصف الشعراء النساء المترفات في الجاهلية ممن كنّ يرتدين هذا النوع من الملابس، ومن ذلك قول **طرفة بن العبد** :[2]

جـازَتِ البِيـدَ إلـَى أرحُلِنـا آخِـرَ اللّـيْلِ، بيَعْفـُورٍ خَـدِرْ

ثمّ زارَتنـي،وصَحْبي هُجَّـعٌ فـي خلـيطٍ بينَ بـُودٍ ونمـرْ

ولعل الأيدي التي باشرت صناعة هذا النوع من الثياب قد تفننت في صناعته وجعله على طرائق متنوعة، ومن ذلك ما جاء في شعر **جران العود النميري** الذي يشبه بطن المرأة الخميصة ببرد مسلسل:[3]

لَأَن يَتَجَلّى اللَيلُ عَنها خَميصَةً كَأَنَّ حَشاها طَيُّ بُردٍ مُسَلسَلِ

3-2/ الحُلي وأصنافه:

اتصل العرب في العصر الجاهلي بغيرهم من الأمم وبحكم هذا الاتصال تأثرت البيئات العربية بالمظاهر الحضارية للأمم الأخرى وبخاصة حضارة فارس، والحلي بأنواعه المتعددة هو مظهر حضاري اجتماعي.

ويزخر الشعر الجاهلي بوصف حلي النساء، فقد تكرر فيه ذِكر الذهب والمرجان واللؤلؤ والعقود والأساور، وتجدر الإشارة إلى أن مهنة الصياغة قد عُرفت في العصر الجاهلي وإن كانت قد وصلت إليهم من الأمم الأخرى، وقد عثر علماء الآثار على معادن

1) لسان العرب، مادة (برد)، معجم الملابس في لسان العرب، 37.

2) ديوان طرفة بن العبد، تحقيق درية الخطيب ولطفي الصقال، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، 1975، ص52.

3) ديوان جران العود النميري، صنعة أبي جعفر محمد بن حبيب، تحقيق نوري حمودي القيسي، دار الرشيد، 1972، ص32.

وقطع من الحلي في الجزيرة العربية، وعُثر كذلك على معادن الذهب والفضة والنحاس في العربية الجنوبية.[1]

ومن أهم أنواع الحلي التي اشتمل عليها الشعر الجاهلي هي:

الجزع: يُعّدُ الجزع ضربا من الخرز، وقيل هو الخرز اليماني، وهو الذي فيه بياض وسواد تشبه به الأعين واحدته جزعة، قال **ابن بري**: سُمي جزعا لأنه مجزع أي مقطع بألوان مختلفة، أي قطع سواده بياضه.[2]

وتفنن الصاغة في صناعة الجزع وتزيينه وجعله بألوان مختلفة، أشهرها الأبيض والأسود، قال **لبيد** في ذلك:[3]

وكُنتَ إمَامنَـا وَلَنَـا نِظَامًـا وكَـانَ الجَزْعُ يُحْفَـظُ بَالنِظَـامِ

وقال المرقش الأصغر يتحدث عن زينة النساء:[4]

تَحَلْيـنَ يَاقُوتـًا وشَـذرًا وصِيغَـةً وجَزعَـا ظفاريـاً ودُرًّا نَوائِمـاَ

سَلَكْنَ القُرَى والجِزْعَ تُحْدَى جِمَالُهُمْ ووَرَّكْنَ قَوًّا واجْتَزَعْـنَ المَخَارِمَـا

الخلخال: وهو صنف من أصناف الحلي الذي اتخذته المرأة لتزين به ساقيها، وقد جاء حديث الشعراء عن الخلخال في معرض حديثهم عن مفاتن المرأة الممتلئة الساقين التي تبحرك خلخالها، ومما جاء في ذلك قول **مليح بن الحكم الهذلي** في معشوقته:[5]

مُهضّمةُ الأحْشَاءِ مَمْكُورَة الشَوىَ قُطُوفَ الخَطَا خَلخَالُهَا غَيرَ جَائِلِ

1) جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام، دار العلم للملايين، بيروت، دار النهضة، بغداد، 1969، ص561.

2) لسان العرب، مادة (جزع)، ص 617.

3) شرح ديوان لبيد، ص208-209.

4) شعر المرقش الأصغر 535، والمفصليات 345.

5) شرح أشعار الهذلين، 23.

ولعل أكثر النساء اللواتي لبسن الخلخال في الجاهلية المغنيات، ولهذا جاء وصفهن في الشعر، ومن ذلك قول **ابن مقبل** يصف الفتاة المغنية وقد صدحت بصوتها وركضت بساقيها وقد بدا خلخالها:[1]

وغِناءِ مُسْمِعةٍ جرَرْتُ لصوتِها ثَوبي، ولذَّة شاربٍ وفِضالِ

صدحَتْ لنا جَيْداءُ تركضُ ساقُها عندَ الشُّروبِ مَجامِعَ الخَلْخالِ

السوار: جاء في المعاجم أن السوار من الحلي معروف، والمستور: موضع السوار كالمخدم لموضع الخدمة، وجاء في التهذيب أن الأساور من فضة.[2]

وللمرأة طريقة خاصة في لبس السوار وما تضعه في تجويفاته حتى إنها كانت تلبس في معصمها سوارين أو أكثر وفي هذا يقول **جران العود النميري**:[3]

مَلْءُ اَلسُّوَارَيْنِ وَالْحَجَلِينْ مِئْزَرُهَا بِمَتْنٍ أُعَفِّر ذِي دَعْصَيْنْ مَكْفُول

وفي الشعر الجاهلي نماذج كثيرة تُصور المرأة وزينتها من حلي وأقراط وغيرهم.

3-3/ مواطن البناء والعمارة:

يُعد فن البناء والعمارة أحد دلائل الحضارة ومقوماتها ومعطياتها، وقد تفاوت ازدهار هذا الفن في البيئات العربية المختلفة في العصر الجاهلي، إذ أن مناطق الاستقرار هي أكثر الأماكن التي شهدت تطورًا واضحا في هذا الجانب.

التفت الشعراء إلى وصف الآثار العمرانية التي شهدتها بلاد اليمن، لأنها من أشهر البلاد العربية وأكثرها عمرانا، فهذا **علقمة ذو جدن الحميري** يصف بعض آثار اليمن التي تكن لأناس مثلها[4] يقول:

---

1) ديوان ابن المقبل، ص358.

2) لسان العرب، مادة (سور)، 2147-2148.

3) ديوان جران العود، 56.

4) جمهرة أشعار العرب، أبو زيد القرشي، ص59.

هَلْ لأُناسٍ مِثْلُ آثارِهِمْ بِمأرِبٍ ذاتِ البِناءِ اليَفَعْ

أَوْ مِثْلُ صَروَاحٍ ومَا دُونَهَا، مِمّا بَنَتْ بِلقيسُ أو ذو تَبَعْ

ويمكن القول أن معظم المناطق والبلاد التي قام فيها العرب في العصر الجاهلي قد شهدت ازدهارا في الحركة العمرانية وبخاصة بلاد اليمن والحجاز والعراق وبلاد الشام وهي المناطق التي عرفت الاستقرار، ولهذا راجت عندهم صناعات البناء، قال ابن خلدون عن هذه الصناعة: "أولى صنائع العمران الحضري وأقدمها وهي معرفة العمل في اتخاذ البيوت والمنازل للسكن والمأوى للأبدان في المدن وذلك أن الانسان لِما جُبِل عليه من الفكر في عواقب أحواله لابد أن يفكر فيما يدفع عنه الأذى من الحر والبرد كاتخاذ البيوت المكثفة بالسقف والحيطان من سائر جهاتها".[1]

وتنوع المباني له دلالة واضحة على أن مستويات البناء كانت تتفق ومستوى الحياة الاجتماعية للأشخاص، فبُنيت القصور للملوك والسادة وُبنيت المنازل البسيطة لمن هو دونهم في المنزلة.

أ/ **القصور**:

تكرر ذكر القصور في الشعر الجاهلي، وصَوّر الشعراء معظم ما عُرف منها في البيئات العربية، ومن أعظم قصور اليمن ذُكر عند قدماء المؤرخين والشعراء الجاهليين قصر **غمدان** المُقام في صنعاء.[2]

وقد جاء في وصف **غمدان** في قول **أوس** مشيرا إلى حراسة الأحباش له دلالة على أهميته:

وَلَوْ كُنْتُ في رَيْمانَ تحرُسُ بَابَهُ أرَاجِيلُ أُحْبوشٍ وأغْضَفُ آلِفُ

إذنْ لأتتني حيثُ كنتُ منيّتي يَخُبّ بِهَا هادٍ لإثْرِيَ قَائِفُ

1) مقدمة ابن خلدون، ص451.

2) معجم البلدان، 210/4، أنظر: بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب 204/1.

ب/ الأطام والحصون:

وأشار **الهمذاني** إلى كثرة الحصون في بلاد العرب وبخاصة حصون اليمن فقال: "الحصون منها المشهورة صناع والقمر، وجبل حب دوراخ والعود وتفكر، وصبر وقرعد، وخلقة وريمة الكلاع وكحلان ومثوة وضلع، وريمة وبرع وشيام ..."

ومن أكثر حصون اليمن المشهورة التي جاء ذكرها في أشعار الجاهلية حصن (رَيمان) ويُمكن أن يكون قصرًا كان يدفن فيه ملوك اليمن وعظماؤها، ومما جاء ذكره قول **ابن مقبل** يصف مِنعَته وارتفاعه:[1]

زَارَ الخَيَالُ لِدَهْمَاءَ الرِّكَـابَ وقَدْ نَـامَ الخَلـيُّ بِبَطْـنِ القَـاعِ مِنْ أُسُنِ

مِنْ طَـيِّ أَرْضِيَن أَوْ مِنْ سُلَّمٍ نَزِلٍ مِنْ ظَهْرِ رَيْمَانَ أَوْ مِنْ عَرْضِ ذِي جَدَنِ

الشعر الجاهلي صور مظاهر الحضارة المادية للعرب في العصر الجاهلي في بيئاتهم المختلفة، إذ تجلت صورة الحضارة المادية بوضوح وهذه المظاهر هي: المظاهر الحضارية الاجتماعية والصناعات والحرف والبناء والعمارة.

أما المظاهر الاجتماعية فقد تمثلت في الملابس وطريقة صنعها ومادتها الخام الأولية، ومعرفة العرب لأنواع كثيرة من الحلي بأشكاله المختلفة، وعرف العرب صناعة الطيب وأدوات حفظه وصناعة الأدوات وأواني الطعام والشراب، إذ بدا المظهر الحضاري جليا في طريقة الصنع وبرز المظهر الحضاري المادي في شيوع فن البناء والعمارة، إذ شاع هذا الفن في مختلف البيئات العربية، وبخاصة في اليمن التي توافر فيها مواد خام أولية ساعدت في إخراج الأبنية المختلفة إخراجا هندسيا، فصور الشعراء أنواع المباني من قصور وحصون وقناطر وغيرها.

يبدو أن للموقع الجغرافي أثر واضح في نظام المجتمع وتركيبته، وذلك من حيث الجوانب الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، والتي تبدو من خلال ممارسة معظم

1) ابن المقبل، ص88.

النشاطات الإنسانية المختلفة، فإن معظم البيئات العربية في عصر ما قبل الإسلام قد اتسمت بمكانة وموقع جغرافي مهم، مهّد لقيام حضارة بلغت منزلة كبيرة من الرقي والتطور.

من خلال دراسة نماذج من الشعر الجاهلي نجد أن هناك كثير من البيئات العربية توافر فيها ما يمكن أن ينهض بقيام حضارة راقية، وبخاصة ما ارتبط بالمواد الخام الأولية اللازمة للصناعات والحرف والعمران وغير ذلك.

كبلاد اليمن فتوفرها على مواد خام أولية جعل منها دولة تتمتع بالحضارة والرقي من مباني وقصور وحصون.

والشعر الجاهلي كشف لنا عن مظاهر حضارية عديدة في معظم البيئات العربية، وعليه فإن كثير من البيئات العربية في ذلك العصر قد شهدت نشاطًا حضاريا متقدما.

الفصل الأول: الشعر العربي القديم بين البداوة والحضارة

أولا: الشعراء البداة وخصائص شعرهم (امرؤ القيس)

1 -وصف الليل في الصحراء

2- وصف الفرس

3- وصف المطر والبرق

ثانيا: الشعراء الحضاريين وخصائص شعرهم (امرؤ القيس)

1 -اللباس

2- زينة المرأة

3- فنون البناء

أولا: الشعراء البداة وخصائص شعرهم (امرؤ القيس)

إن خصوبة النص الأدبي في الشعر الجاهلي مازالت تستهوي المهتمين بدراسة الأدب القديم، وظلت المقدمات الطللية والمعلقات ومعظم النصوص العربية القديمة تستفز فضول الأدباء والنقاد والدارسين من أجل فك شفراته وسير أغواره ومعرفة خفاياه وبواطنه، وإن الدراسات القديمة والحديثة التي ارتبطت بالأدب الجاهلي تتبه إلى آفاق وأبعاد تلهمنا بخبايا وأسرار تمكننا من قراءة النص الجاهلي وربط الأدب القديم بالأدب الحديث.

لا يوجد دليل قاطع يبين بدايات العصر الجاهلي، فإذا غابت عنا بدايات العصر الجاهلي فإن هذا يؤكد أن هناك الكثير من الشعر الجاهلي قد ضاع وضاعت معه كثير من الحقائق والأسرار، ولذا يقول **عمرو ابن علاء** "ما انتهى إليكم مما قالت العرب إلا أقله ولو جاءكم وافر لجاءكم علم وشعر كثير".[1]

ويرى **ابن سلام** أن امرئ القيس قد سبق الشعراء إلى أشياء ابتدعها واستحسنها العرب واتبعه فيها الشعراء منها: استيقاف صحبه والبكاء على الديار ورقة النسيب ...).[2]

ويقول **ابن سلام** "امرئ القيس قد سبق الشعراء إلى أشياء لم يسبق إليها، بالإضافة معاني جديدة في الشعر هذا أمر لا خلاف عليه ولكن في بكاء الديار هناك أدلة تثبت بكاء الديار كان في عهد سبق زمن وجود امرئ القيس".[3]

---

1) ينظر: أمل طاهر نصير، فاعلية المكان في بناء القصيدة، مجلة جامعة الملك سعود، مجلة 15، 1423هـ، 2003م، ص255، وياسين نصير، إشكالية المكان في النص الأدبي، بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة، 1408هـ، 1986م، ص294.

2) ابن سلام الجمحي، طبقات فحول الشعراء، القاهرة، 1951م، 25/1.

3) المصدر نفسه، ص39/1.

وقد اعتنى الدارسون قديما وحديثا بدراسة القصيدة التقليدية وشغلت أفكارهم المقدمات الطللية فحاولوا تفسيرها وتبرير ظهورها في مطالع القصائد الجاهلية وكثرت تساؤلاتهم عن حقيقتها وأسبابها ودلالتها على المكان.

فالمجتمع الجاهلي يتكون من البدو والحضر، فكان البدو يمثلون غالبية السكان ويرحلون من مكان إلى مكان، متى ما توفر الماء والكلأ وكان ذلك المكان مكان استقرارهم ومما لا شك أن البيئة الجاهلية البدوية طبعت إنسانها بطابعها ولونت أخلاقه ومزاجه وعاداته وتقاليده بلون تضاريسها ومناخها فلذلك تميزت أخلاق الجاهليين بأصالة الصحراء والشهامة والشجاعة والكرم والنجدة والصدق ...، كما أنها طبعت شِعرهم بسمات خاصة فلا نجد لها مثيل عند أمم أخرى.[1]

وقد جاء وصف المكان أو المسكن متمثلا في الأطلال من خلال القصائد والمعلقات.

أما فيما يخص السمات البدوية للشعراء البداة والشعر البدوي هو أن شعرهم يتميز بطابع البدوي وذلك لمدى تأثير هذه البيئة أي البيئة البدوية على هؤلاء الشعراء فجعلتهم يحرصون على القالب التقليدي، ومنه نستنتج أن القصيدة العربية البدوية كانت تبدأ بغرض وتنتهي بحكمة بالغة، فمن خصائصها كذلك كثرة التصوير والواقعية، كما اتسمت كذلك بالمقدمات الطللية.

فالمقدمات الطللية شغلت أفكار الدارسين فحاولوا تفسيرها وتبرير ظهروها في مطالع القصائد الجاهلية وكثرت تساؤلاتهم عن حقيقتها وأسبابها ودلالتها على المكان؟ وكل هذا لأنها تمثل جزءًا أساسيا من القصيدة العربية، [2] ولمعرفة هذا

1) ينظر، دكتور إحسان محمود سليمان، أستاذ الأدب واللغة، المكان في المقدمات الطللية في شعر المعلقات، كلية التربية والآداب، جامعة تبوك، السعودية، جانفي 2020، ص205.

2) المرجع نفسه، ص204.

أخذنا قصيدة امرؤ القيس لتحليلها كمثال لدراسة أهم خصائص وسمات الشعر البدوي.

امرؤ القيس هو شاعر لَسِن من أصحاب المعلقات في الجاهلية، ولا مجال للشك في أن معلقة امرؤ القيس من أجمل تراث الأدب العربي وأثمنه، يبدو أن امرؤ القيس يريد أن يُبْلغ رسالته من خلال معلقة ومن خلال ذلك سندرس مجمل هذه المعلقة وأهم مواضعها وسماتها.

برز المكان في الشعر الجاهلي من خلال المقدمات الطللية وأشار شعراء المعلقات إلى أماكن بعينها نظرا لارتباطهم القوي بها، فقد كانت التجربة التي عاشها الشاعر مصدرًا مهما من مصادر إلهامه واتّبع الشعراء الجاهليون أساليب شعرية في إبراز صورة المكان من أهمها كثرة الأماكن وتتابعها في البيت الواحد أو الأبيات القليلة، يقول امرؤ القيس:[1]

قِفَا نَبْكِ مِنْ ذِكْرَى حَبِيْبٍ وَمَنْزِلِ بِسِقْطِ اللِّوَى بَيْنَ الدَّخُولِ فَحَوْمَلِ

فَتُوْضِحَ فَالمِقْرَاةِ لم يَعْفُ رَسْمُهَا لِمَا نَسَجَتْهَا مِنْ جَنُوبٍ وَشَمْأَلِ

في هذين البيتين مجموعة من الأماكن منها (سقط اللوى، وحومل، فتوضح، فالمقراة، الدَخول) وهي ترتبط بحالة تذكر يعيشها الشاعر، والمكان هنا أصبح معزولا عن شرطه الإنساني، ذلك أنه لم يعد سوى بقايا آثار لم تندرس بعد بشكل كلي، ولكن أهميتها تأتي بما تثيره لدى الشاعر ثم لدى المتلقي من ذكرى إنسانية ينقلها إلينا الشاعر بالتدرج لتصبح تجربته الخاصة في المكان تجربة عامة لنا نحن القُراء.[2]

1) امرؤ القيس، الديوان، تح محمد أبي الفضل ابراهيم، دار المعارف، القاهرة، 1405هـ، 1984م، ص8-9.

2) يُنظر، سلمى محمد باحشوان، المكان في شعر ظاهر الزخشري، رسالة ماجستير، كلية الآداب والعلوم الانسانية، جامعة الملك عبد العزيز، 1430هـ، 2009م، ص33.

لتشبث الشاعر بالمكان الذي يتمثل له في الطلل البائد، ولرغبته القوية في اثبات وجوده وإنكار فنائه، ينكر كل ما هو من شأنه وجود الحياة فيه من نبات ونحوه، فكان عنصر النبات في المكان المقفر يبعث روح الحياة فيه من جديد، يقول امرؤ القيس:[1]

تَرَى بَعَرَ الأَرْآمِ في عَرَصَاتِهَا وَقِيْعَانِهَـا كَأَنَّـهُ حَبُّ فُلْفُـلِ

كَأَنِّيْ غَـدَاةَ البَيْنِ يَوْمَ تَحَمَّلُوا لَدَى سَمُرَاتِ الحَيِّ نَاقِفُ حَنْظَلِ

والعنصر النباتي في المكان يتضح من خلال (حب الفلفل، السمرات، حنظل) وكلها عناصر نباتية تعكس وجودها رغبة الشاعر العميقة في إسقاط معنى الحياة على المكان المقفر، فكان عنصر النبات في المكان لدى امرؤ القيس يبين الإحساس بالحياة التي تتنامى في المكان المقفر الخالي.[2]

إن تجديد الحياة للمكان سواء كان ذلك بالعودة للاستقرار فيه أم بالوقوف على أطلاله وفي ذكر الشاعر للكتابة والسيول والوشم، تجديد للحياة وأمل في بقاء الأطلال وصوتها من الدمار والفناء.[3]

يقف الشاعر هنا بالديار التي اعتراها البِلى بسبب عوامل طبيعية من عواصف ورياح وأمطار وغيرها، فتلك الديار لم ينسه إياها قِدم الزمان ولا ما حلّ بها من تعرية وتعفيه، بل ظلت حاضرة في نفسه ومرسومة في داخله، فالشاعر يحاول جاهدا استعادة بناءها بحضوره أمامها، ليستعيد بناء نفسه وفي محاولة

1) امرؤ القيس، الديوان، ص8-9.

2) ينظر، دكتور إحسان محمود سليمان، المكان في المقدمات الطللية في شعر معلقات، ص212.

3) المرجع نفسه، ص212.

بناء الأطلال في الذاكرة واستحضار روح سكانها واسترداد لها إلى الحياة ولو في فضاء الذاكرة.[1]

فالبكاء تطهير للنفس واستعادة للتوازن العاطفي وإعادة ترتيب للذات وتفريغ الطاقة السالبة ورجع صدى السنين الجميلة الماضية، وما حرص الشعراء على البكاء إلا لمنع الانفجار والحيلولة والانهيار، والعلاقة بين الطلل والبكاء علاقة مصيرية تجسد ثنائية السبب والمُسبب والفعل والنتيجة، يقول امرئ القيس:[2]

قِفَا نَبْكِ مِنْ ذِكْرَى حَبِيْبٍ وَمَنْزِلِ بِسِقْطِ اللِّوَى بَيْنَ الدَّخُولِ فَحَوْمَلِ

1- وصف الليل في الصحراء:

ترتبط الصحراء بكثير من المفردات والليل واحد منها ففي تلك البيئة له جمال يجعل المتأمل في الكون يُسَّبح لله وعظمته، وقد وصف به الشعراء ممدوحيهم ووصفوا به حروبهم وغبارها الجامع بالظلام في كل.

والليل فيه هدوء والجمال بنجومه اللامعة وقمره الفضي المنير، وظلامه بما فيه من سحر وغموض، ففيه ترويح للنفس من عناء السفر لمن أضناهم السعي نهارًا، وهو همس السائلين المُحبين الذين اشتكوا طوله، وهو جمال لمن يريدون مناجاة الحق عز وجل يقول تعالى: ﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ الَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾[3] وهو غطاء للذين يخفون شرورهم فيه والليل عند امرئ القيس يشبه البحر في وحشة أمواجه إذ يقول:[4]

وَلَيْلٍ كَمَوْجِ البَحْرِ أَرْخَى سُدُولَهُ عَلَيَّ بِأَنْوَاعِ الهُمُومِ لِيَبْتَلِي

1) المرجع السابق، ص209.
2) امرؤ القيس، الديوان، ص8-9.
3) سورة الأنعام، الآية 96.
4) امرؤ القيس، الديوان، ص118.

فَقُلْتُ لَهُ لَمَّا تَمَطَّـــى بِصُلْبِـهِ وأَرْدَفَ أَعْجـازًا ونَـاءَ بِكَلْكَـــلِ

أَلا أَيُّهـا اللَّيْلُ الطَّويلُ أَلَا انْجَـلِ بِصُبْحٍ وما الإِصْباحُ مِنْكَ بِأَمْثَلِ

فَيـا لَكَ مِـنْ لَيْلٍ كَـأَنَّ نُجُومَـــهُ بِكُلِّ مُغَـارِ الفَتْلِ شُدَّتْ بِيَذْبُـلِ

والليل بهدوئه وسكونه نجده باعث للتأمل والتفكير والصمت والسفر بالأنواء، وكل ذلك يُولِد في نفس البدوي الانطلاق في التعبير والخيال الواسع والبوح بما في السرائر.

وفي هذه الأبيات يذكر الشاعر عن وصف الليل فهو يتصور الليل وكأنه أمواج لا تنتهي، وأن الليل طال وأسرف في طوله، والنجوم التي في السماء ثابتة في مكانها كأنها لا تجري ولا تسير.

2- وصف الفرس:

الشاعر الجاهلي في البادية تعايش مع الطبيعة الصحراوية الصعبة وكذلك الحيوان، فكان هذا الأخير موجودًا في حِله وترحاله وأمنه وخوفه، لذا فإن ذكره يجسد مظهرًا من مظاهر حياة الشاعر في البيئة البدوية، والشاعر امرؤ القيس ذكر هو كذلك الفرس في معلقته معبرًا عنها في الأبيات من [52 إلى 62] يقول فيها:[1]

وَقَدْ اغْتَدِي وَالطَّيْرُ فِيْ وُكُنَاتِهَا بِمُنْجَـــرِدٍ قَيْـــدِ الأَوَابِـــدِ هَيْكَـــلِ

مِكَـرٍّ مِفَرٍّ مُقْبِلٍ مُدْبِـرٍ مَعَـــاً كَجُلْمُوْدِ صَخْرٍ حَطَّهُ السَّيْلُ مِنْ عَلِ

كُمَيْتٍ يَزِلُّ اللِّبد عَنْ حَالِ مَتْنِهِ كَمَـا زَلَّـتِ الصَّفْـوَاءُ بِالْمُتَنَزَّلِ

عَلَى الذَّبْلِ جَيَّاشٍ كَأَنَّ اهْتِزَامَهُ إِذَا جَاشَ فِيْهِ حَمْيُهُ غَلْيُ مِرْجَـــلِ

1) أبي عبد الله الحسين بن أحمد الزوزني ، شرح المعلقات السبع الطوال ، تحقيق دار العالمية ، بيروت ، 1992/1413م، ص32-33.

مِسَحٌّ إِذَا مَا السَّابِحَاْتُ عَلَى الْوَنَى أَثَـرْنَ الْغُبَـارَ بِالْكَدِيْـدِ الْمُرَكَـلِ

يَزِلُّ الْغُلامُ الخِفُّ عَنْ صَهْوَاتِـهِ وَيُلْـوِي بِأُثْـوَابِ الْعَنِيْـفِ الْمُثَقَّـلِ

من مظاهر البداوة هنا في معلقة امرؤ القيس أن الشاعر يحن إلى الأطلال ورحلته إليها عبر هذه الفرس ويولي لها أهمية كبيرة ويكرس لها أبياتا كثيرة من القصيدة فقد كان الفرس رمزًا للنفس الطاهرة التي يمتلكها الشاعر، كما أن الشاعر امرؤ القيس وصف هذه الفرس وصفًا دقيقًا رائع صور من خلاله سرعته تصويرا بديعيا، إذ أنه وصفها وهي تجري وتنطلق في الصحراء سرعة وكأنها تكر وتفر، وكأنها تُقْبل وتُدْبر في نفس الوقت، حين شبهها بالجلمود وهو الصخر الذي يهوى من ذروة جبل عال.[1]

3- وصف المطر والبرق:

بما أن الشاعر امرؤ القيس متصل بالطبيعة البدوية ومتعايش معها فإنه متشبع بمجموعة من الظواهر التي تحدث فيها كنزول الأمطار ونشاط الأودية وهبوب الرياح وغيرها، مما يجعل لكل هذه الظواهر الطبيعية أثر في نفسية الشاعر ويصفها وصفًا دقيقًا بارعًا في أشعاره فيقول الشاعر امرؤ القيس في أبياته من البيت [70 إلى 81] من معلقته:[2]

أصَاحِ تَرَى بَرْقاً أُرِيْكَ وَمِيْضَـهُ كَلَمْـعِ اليَدَيْنِ فِـي حَبِيٍّ مُكَلَّلِ

يُضِـيءُ سَنَاهُ أَوْ مَصَابِيْحُ رَاهِبٍ أَمَـالَ السَّلِيْطَ بِالذُّبَالِ المُفَتَّـلِ

قَعَدْتُ لَهُ وصُحْبَتِي بَيْنَ ضَارِجٍ وبَيْنَ العُذَيْبِ بُعْدَمَـا مُتَأَمَّـلِ

عَلَى قَطَنٍ بِالشَّيْمِ أَيْمَنُ صَوْبِـهِ وَأَيْسَرُهُ عَلَـى السِّتَـارِ فَيَذْبُـلِ

1) ينظر، المرجع السابق، ص32-33.

2) المرجع نفسه، ص38-39.

فَأَضْحَى يَسُحُّ المَاءَ حَوْلَ كُتَيْفَةٍ يَكُبُّ عَلَى الأَذْقَانِ دَوْحَ الكَنَهْبَلِ

ومَرَّ عَلَى القَنَانِ مِنْ نَفَيَانِـــهِ فَأَنْزَلَ مِنْهُ العُصْمَ مِنْ كُلِّ مَنْزِلِ

وهنا الشاعر امرؤ القيس يصف البرق الذي يتلألأ ضوءه فهو يشبه في تحركه لمع اليدين أو مصابيح الرهبان أُمْليت فتائلها بصبِّ الزيت عليها في الإضاءة، وراح يتأمل الشاعر في السحاب هو وأصحابه من مكان بعيد، وبالنظر إلى البرق والتعجب من السحاب يترقبون نزول المطر الذي نزل في النهاية إذ نزل نزول الشِدَّة واندفع سيولًا جارفة أَلَمَّتْ بمنازل قومه بني أسد بالقرب من تيماء في شمال الحجاز.[1]

ومن هذا نستخلص أن قدرة الشاعر الجاهلي في وصف مظاهر الطبيعة وإبداعه الواسع فيها ليس له حدود، حيث أن المظاهر الطبيعية والبيئية الجاهلية البدوية، من ماء ونبات ونجوم ورياح ومطر والحيوان كلها تمثل مصدرًا يستسقي منه إبداعه وفنه وتشبيهه، وبهذا شكلت الطبيعة مصدرًا أساسيًا وتصويرًا واسعًا متنوعًا لمجموعة من المظاهر والسمات.

ثانيا: الشعراء الحضاريين وخصائص شعرهم (امرؤ القيس)

السمات الحضارية هي العلامات أو الآثار التي يتركها الانسان نتيجة معاملاته اليومية، فتبدو ظاهرة وسمة مميزة لذلك المجتمع.

تعددت السمات الحضارية المادية في شعر امرئ القيس والتي تعطي انطباعا في الحياة والبيئة التي عاشها الشاعر فعلى الرغم من حياة البادية في البلاد العربية إلا أنه يظهر في شعر امرئ القيس الكثير من السمات الحضارية، وتَعدُد هذه السمات يدل على وجود الحضارة في البيئات العربية ومنها:

1) ينظر، الزوزني، شرح المعلقات السبع الطوال، ص38-39.

1- اللباس:

كان اهتداء الانسان الأول إلى الملابس لستر العورة وليتقي بها من الحر والبرد، ثم انتقل الانسان إلى التفنن بأشكال الملابس وصنوفها تبعا لثقافة المجتمع الذي يقطنه ونوع المناخ وتوفر المادة التي يُصنع منها، فضلا عن الحياة الاجتماعية ووفرة المال.

"والعرب كغيرهم من الأمم اهتموا باللباس فكان لباس العربي الجاهلي يتكون من القميص والإزار والعباءة، ولم يعرف العرب السراويل والأقبية فقد كانت فارسية".[1]

وكانت أنسجة العرب من القطن والصوف، وقد تأثر أغنياء العرب في العصر الجاهلي بأهل الشام والعراق وأهل فارس وعملوا على تقليدهم في ملابسهم وصاروا يلبسون الحرير والديباج، [2] وذلك بحكم اختلاطهم وتعاملهم من خلال المعاملات التجارية.

مما أدى إلى اطلاع العرب على العديد من الثقافات والحضارات المجاورة من خلال توسع المعاملات التجارية بين العرب والأمم الأخرى، مما انعكس على شكل الملابس وصوفها، وبما أن امرئ القيس كان من عائلة مالكة فهو وريث ثراء منذ صغره، لذلك فهو مطلع على معطيات الحضارة، وقد بدا ذلك واضحا في شعره، ومن أهم الملابس التي اشتمل عليها شعر امرئ القيس التي تدل على حضارة ذلك العصر.

1) أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، 2001، البيان والتبيين، دار مكتبة الهلال، بيروت، ج3،، ص13.
2) ابراهيم رجب عبد الجواد، 2002، المعجم العربي لأسماء الملابس، ط1، دار الآفاق العربية، القاهرة، ص26.

أ/ **الإتب** : "ثوب يؤخذ فيشق في وسطه، ثم تلقيه المرأة في عنقها من غير جيب أو كمين"، [1] ويُتخد الإتب من قطعة قماش مخططة تُشَق من وسطها وتدخل المرأة رأسها من الفتحة المعدة لهذا الغرض".[2]

ويصف الشاعر المتحّببات إلى أزواجهن اللائي لا ينظرن إلى غيرهم، وهن على عفة ونقاء بأنهن نساء جميلات ناعمات ورقيقات البشرة وهن يلبسن هذا الثوب الجميل الرقيق بأنه لو مر الذر من فوق ثيابهن لأثر في جلودهن وفيه يشير إلى رقة هذا النوع من الثياب، يقول:[3]

مِن القاصِراتِ الطَّرفِ، لو دبَّ مُحوِلٌ من الذرِّ فوقَ الإتبِ مِنها لأثَّرَا

ب/ **الأتحمي** : "ضرب من البرود والثوب الأتحمي هو المُوَّشى باللون الأحمر، والبرود المخططة بالصفرة وهي من برود اليمن، [4] ويبدو أن هذا الصنف من البرود منسوب إلى أتحم وهو موضع في اليمن".[5]

إذ يظهر هذا الصنف من الملابس عندما وصف امرئ القيس حالهم بعدما فرغوا من الصيد، فقد وضعوا ثيابهم على الرماح ليستضلوا بها، يقول:[6]

وَأطْنَابُهُ أَشطَانُ خوصٍ نَجائِبٍ وصَهْوَتُهُ من أتْحُميٍّ مُشَرْعَب

1) ابن منظور، لسان العرب، مادة الانب، ص19.
2) ابراهيم، المعجم العربي، أسماء الملابس، ص128.
3) امرؤ القيس، الديوان، ص68.
4) ابن منظور، لسان العرب، مادة (تحم)، ص321.
5) الأندلسي أبو عبيد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري، 1403هـ، معجم استعجم من أسماء البلاد، عالم الكتب، بيروت، ط3، ج1، ص104.
6) امرؤ القيس، الديوان، ص53.

2- زينة المرأة:

أ/ الحلي: اهتمت المرأة بزينتها على مختلف العصور، ويجد الباحث من خلال ديوان امرئ القيس أن المظهر الاجتماعي له حضور وافر في البيئة العربية الجاهلية، خاصة مع اتصال العرب مع غيرهم، وتأثرهم بالحضارات الأخرى كحضارة بلاد فارس التي كانت أشد الحضارات تأثيرا بالعرب أو بلد الهند أو بلاد الحبشة.

كما أدى توفر المواد الخام إلى وجود أنواع خاصة تحمل الصبغة العربية الخالصة، ومن أهمها الذهب والفضة والأحجار الكريمة، وتشير الدراسات إلى اشتهار (بني قنيقاع) في منطقة يثرب بإجادتهم حرفة الصبغة واتقانهم لها.[1]

أ-1/ الجزع :"ضرب من الخرز وقيل الخرز اليماني وهو الذي فيه بياض وسواد تشبه بالأعين، وسُمي جزعا لأنه مجزع أي مقطع بألوان مختلفة".[2]

ويرسم الشاعر صورة شعرية مستعملا هذا النوع من الحلي، حينما يصور عيون الوحش الذي اصطاده بالجزع غير المثقب، فهو يشبه عيون الوحش بما فيها من بياض وسواد كأنها الجزع، يقول:[3]

كأنّ عُيونَ الوَحشِ حَوْلَ خِبائِنَا وَأَرْحُلِنَا الجَزْعُ الذي لمْ يُثَقَّبِ

أ-2/ الخاتم : "من حلي الاصبع ويُحلى بالحجارة الكريمة في الغالب، مثل الياقوت والألماس والشذر ويستعمل الخاتم للختم أيضا، وذلك بحفر رمز أو كلمة أو اسم على الخاتم".[4]

1) انظر، جواد علي، 2001، المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام، ط4، دار الساقية، ج14، ص200.
2) ابن منظور، لسان العرب، مادة (جزع)، ص617.
3) امرؤ القيس، الديوان، ص53.
4) جواد علي، المفصل في تاريخ العرب، ج14، ص251.

يشبه الشاعر أثر القروح في جلده وعدم زوالها كأثر نقش الخاتم على الورق، ويظهر استعمال الخاتم هنا كطابع أو علامة يكتبها صاحب الخاتم عليه، يقول:[1]

تَرَى أثَرَ القَرْحِ في جِلْدِهِ كَنَقشِ الخَواتِمِ في الجِرْجِسِ

ب/ العطر وأصنافها:

تعد هذه السمة من السمات التي تتجلى فيها الحضارة من خلال طريقة صناعتها وتنوعها، إذ تدخل هذه الصناعة ضمن حرفة العطارة، فكان العطارون في مكة ويثرب وغيرها يبيعون العطور وفي جملتها المسك، فكان من عادة أسياد العرب والأغنياء من الناس شراء العطور ويكثرون من التطيب بها".[2]

ومن أبرز أنواع العطور في العصر الجاهلي الوارد ذكرها في ديوان امرئ القيس:

ب-1/ العبير : "ضرب من الطيب، قال **ابن الأثير** : العبير نوع من الطيب ذي لون يجمع من أخلاط ويكون من أخلاطه الزعفران"، [3] فهو ذو رائحة جميلة ويحتاج إلى مهارة في الصنع والخلط كي يصل إلى هذا النوع من الطيب الذي تغنى به الشعراء، فنرى الشاعر يتغزل بفتيات جميلات ناعمات يتطيبن بالعبير فزادهن جمالا، يقول:[4]

حُوراً تُعَلَّلُ بِالعَبِيرِ جُلُودُهَا بِيضَ الوُجُوهِ نَوَاعِمَ الأجْسَامِ

1) امرؤ القيس، الديوان، ص339.
2) انظر، جواد علي، المفصل في تاريخ العرب، ج9، ص36.
3) ابن منظور، لسان العرب، مادة (عبر)، ص2783-2784.
4) امرؤ القيس، الديوان، ص115.

ب-2/ العود:

"شجر من أرض الهند، ولا تصير له رائحة إلا بعد أن يُعتق ويُنجر ويُقشر"، [1] وعرفه العرب عن طريق التجارة، ومن أنواعه القطر فترى الشاعر يصور ما يتطيبن به الفتيات من المسك والبخور وانتشاره عند تحركهن برياح الصبا وانتشاره، يقول:[2]

إِذَا قَـامَتَا تَضَـوَّعَ المِسْـكُ مِنْهُمَا نَسِيْمَ الصَّبَا جَاءَتْ بِرَدْحٍ القُطْرِ

ومن العود أيضا الألوى وهو من أجود العود وأطيبه وأصله من الهند، ويكرر الشاعر وصفه للفتيات المتنعمات اللاواتي يلبسن الحلي ويتطيبن بأجود أنواع البخور، يقول:[3]

وبَاناً وأَلْوياً مِنَ الهِنْد ذَاكِياً ورَنْداً ولَبنَى والكَباءِ والمُقتّرا

3- فنون البناء:

أ/ الحصون: "هي كل موضع حصين لا يوصل إلى ما في جوفه".[4]

تعد الحصون من سمات الحضارة التي يريد بها أصحابها الاستقرار، ووردت الحصون في شعر امرئ القيس بمعناها الأصلي الذي يُراد منه التحصن والأمن لعدم القدرة على صد الهجوم، فترى امرئ القيس يفخر على بني أسد بأنهم ليسوا

1) النويري، تحقيق احمد بن عبد الوهاب البكري، 1423هـ، نهاية الأرب في فنون الأدب، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ط1، ج19، ص23.

2) امرؤ القيس، الديوان، ص110.

3) المصدر نفسه، ص60.

4) ابن منظور، لسان العرب، (مادة حصن)، ص902.

ندا له، ويُخوفهم منه بأن ينزلوا ويتحصنوا بحصن ناعط، [1] حتى يحميهم منه بعد قتلهم لأبيه وثأرهم منه، يقول:[2]

هُوَ المُنْزِلُ الآلافَ من جَوّ ناعِطٍ بَني أسَدٍ حَزْناً من الأرضِ أوعرا

ب/ المصانع: "ما يصنعه الناس من الآبار والأبنية ويُقال للقصور أيضا مصانع".[3]

ويبدو أنها عامرة زاهرة في البلاد العربية الجنوبية وسمة ظاهرة بارزة تدل على عظمتهم وعظمة بنائهم وما وصلوا إليه من فنون العمارة، فُيصور الشاعر الدهر وعدم ثباته على حال بالغول الذي يلتهم كل شيء فلا يبقى ولا يذر حتى أنه لم يبق على مُلك ذي نواس وأزال قصوره وحصونه على الرغم من عظمتها وقوتها، يقول:[4]

أَلَمْ يَحْزُنْكَ أنّ الدّهْرَ غُولٌ خَتُورُ العَهْدِ يَلْتَهِمُ الرّجَالا

أَزَالَ مِنَ المَصَانِعِ ذا نُوَاسٍ وقَدْ مَلكَ الحَزُونَةَ والوِمَالا

ظهر في ديوان الشاعر امرئ القيس اعتماده على مصادر عدة في صوره فمنها ما كان مداره الطبيعة أو الانسان أو ثقافته الخاصة، ومنها ما اعتمد على ما يشاهده في حياته اليومية.

يظهر من خلال تحليل ديوان الشاعر ودراسته أن الشاعر كان قريبا من مظاهر الحضارة والتعامل معها، خبيرا بأنماطها وأشكالها.

أظهرت الدراسة ملامح وسمات الحضارة في المجتمعات التي خالطها الشاعر في حله وترحاله، مما يعطي انطباعا واضحا عن مجتمع حضاري، مجاريا لسبل الحضارة في ذلك

1) ناعط قصر على جبلين لهمذان الحموي، معجم البلدان، ج5، ص253.
2) امرؤ القيس، الديوان، ص65.
3) ابن منظور، لسان العرب، مادة (صنع)، ص2506.
4) امرؤ القيس، الديوان، ص309.

الوقت، من خلال اهتمام المرأة بزينتها وتنوع حليها وعطورها، وتعدد صنوف الملابس والاهتمام بالعمران والبناء وزخرفتها وكل ما يتصل بمظاهر الحياة آنذاك.

الفصل الثاني: سمات البداوة والحضارة في شعر علي بن الجهم

أولا: سمات البداوة في شعر علي بن الجهم

1- السمات الطبيعة

أ) الليل

ب) الواد

2- الحيوان

أ) الإبل

ب) الناقة

ج) الحية

د) الكلب

ثانيا: سمات الحضارة في شعر علي بن الجهم

1- وصف القصور

2- وصف البركة

3- وصف المركب

4- وصف الفوارة

5- وصف الشطرنج

6- وصف مجالس اللهو

أولا: سمات البداوة في شعر علي بن الجهم

يمتاز البدو بخصال ينفردون بها دون غيرهم من العرب المتحضرين وسكنة الأرياف والقرى، وهم أصحاب أجسام رشيقة في الغالب الأعم ووجوه أسيلة لفحتها الشمس فأكسبتها سمرة، وجباههم عريضة بارزة وأسنانهم بيضاء كالثلج، هذا البدوي يمتاز بجلد غريب وصبر على الشدائد، وذكاء حاد وقناعة لا توصف، يرضى بشظف العيش وحياة محفوفة بالمخاطر، وفي براري فقراء، حرُّها لاهب وبردها قارس والبدوي شديد الحرص على عرقه وتقاليده وعاداته التي كان عليها آباؤه وأجداده باقي على فطرة والبساطة التي كانوا عليها منذ مئات السنين، متمسك بهذه الأخلاق والخصال الصالحة، صعب المراس جريء حافظ للذمم، كريم مقدام ثبور لا يقف عند حد ثروته إذا ما جرحت كرامته وانتهكت حرمته، ميال إلى حرية لا يحدها حد، والحرية التي يفهمونها هي الحرية الشخصية الاجتماعية والوطن لا ينكرونه هو مُضارب القبيلة ومنازلها وهو بالتالي فخور بنفسه وعشيرته.

قول الجرجاني: في أثر الطبائع والبيئات في الشعر "وقد كان القوم يختلفون في ذلك وتباين أحوالهم فَرَّق شعر أحدهم، ويُصلب شعر الأخر ويسهل لفظ أحدهم ويتوعر منطق غيره، وإنما ذلك حسب اختلاف الطبائع وتركيب الخلق، وإن سلامة اللفظ تتبع سلامة الطبع، ودمائة الكلام بقدر دمائة الخُلقة ..."[1]

وترى الجافي الجلف منهم كزَّ الألفاظ معقد الكلام وعِر الخطاب، حتى أنك ربما وجدت ألفاظه في صوته ونغمته، وفي لهجته ومن شأن البداوة أن يحدث بعض ذلك.

ومنه فقد كان للشعراء الدور البارز في تصوير الحياة الاجتماعية البدوية بمختلف مظاهرها لأن القصائد الشعرية تعطي العمل الأدبي وظيفة الحقيقية.

1) ينظر، الوساطة بين المتنبي وخصومه، علي بن عبد العزيز الجرجاني، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ط1، 2006، ص25.

ويتميز الشاعر عن الإنسان العادي بالقدرة المعرفية والذهنية التي تساعده في تقديم المعاني المجردة بالصورة الحسية المختلفة مستخدما بذلك الصور أداة لعمله لذلك فإن التعبير بالصور أهم الأدوات للشاعر بلا منازع.

1- سمات البدوية:

ومن المظاهر التي تدل على البداوة في شعر الشاعر علي بن الجهم أنه اعتنى بوصف الطبيعة من حوله كغيره من الشعراء الذين افتتنوا بها فمثلت عنصرًا بارزًا في قصائده الشعرية يحاول من وراءها تسليط الضوء على الأحداث والأدوات التي تشكلها البيئة البدوية الجافية الخشنة وحيواناتها المفترسة ويخلق من هذا كله جوًا للفخر والمدح لذاته واعتزازًا لقومه.

1) السمات الطبيعية:

أ/ **الليل:** ومن المظاهر الطبيعية التي عُنيت بالوصف عند الشعراء الجاهليين هو الليل وذلك لظلمته الحالكة وسواده القاتم، فالشاعر علي بن الجهم ومن خلال ديوانه تطرق إلى وصف الليل يقول في ذلك:[1]

كَم قَد تَجَهَّمَني السُرى وَأَزالَني لَيلٌ يَنوءُ بِصَدرِهِ مُتَطاوِلُ

وَهَزَزتُ أَعناقَ المَطِيِّ أَسومُها قَصداً وَيَحجُبُها السَوادُ الشامِلُ

حَتّى تَوَلّى اللَيلُ ثانِيَ عَطفِهِ وَكَأَنَّ آخِرَهُ خِضابٌ ناصِلُ

وَخَرَجتُ مِن أَعجازِهِ وَكَأَنَّما يَهتَزُّ في بُردَيَّ رُمحٌ ذابِلُ

---

1) علي بن الجهم، الديوان، تحقيق خليل مروم بك، المملكة العربية السعودية، وزارة المعارف السعودية، ص 176، 177، المقطوعة رقم 124.

* تجهمني: أي استقبله بوجه كريه/ السرى: سير عاملة الليل/ ينوء: أي أثقله وأماله/ أزالني: أي جعلني في ضيق/ أسومها: أي أكفلها الليل قصدًا/ ثاني عطفه: ثني الشيء فعطفه ورد بعضه على بعض/ ناصل: أي صبغ حناء زائل/

وَرَأَيتُ أَغباشَ الدُجى وَكَأَنَّهـــا حِـزَقُ النَعامِ ذُعِرنَ فَهيَ جَوافِلُ

وَحَميتُ أَصحابي الكَرى وَكَأَنَّهُم فَوقَ القِلاصِ اليَعمَلاتِ أَجادِلُ

فالشاعر علي بن الجهم ومن خلال هذه الأبيات اشتكى لنا من الليل الطويل شديد السواد، فكان يحجب عن ناظريه كل ما هو جميل، إلا أن أخذ سواده وبدأ يذهب تدريجيا وكأنه صبغ الحناء الزائل، فزالت معه همومه وضيقه وخرج منه كأنه رمح ذابل، وبدأت وطأة النهار تظهر وكأنها نعام شارد.

ويقول كذلك في وصفه الليل وهو الذي عاش في صحراء البادية لياليها شديدة الظلام:[1]

وَلَيلَـةٍ كُحِلَت بِالنَفسِ مُقلَتُـهـا أَلقَتِ قِناعَ الدُجى في كُلِّ أُخدودِ

قَد كادَ يُغرِقُني أَمواجُ ظُلمَتِها لَولا اِقتِباسي سَنىً مِن وَجهِ داوُدِ

هنا الشاعر علي بن الجهم يصف وجه داود* حين شبهه بالضوء الساطع في عتمة الليل، فبدد به تلك الظلمة والسواد الحالك.

كما أنه وقبل وفاته سقط جريحًا فوصف ذلك الليل الذي كان فيه جريحًا ويقول أيضا:[2]

وَلَيلَـةٍ كَأَنَّـهـا نَـهـــــارُ سَهِرتُها وَفِتيَـةٌ أَخيـارُ

لا جاهِلٌ فيهِم وَلا خَتّارُ وَلا عَلـى جَليسِهِ هَـرّارُ

لَهوُهُمُ الأَسمارُ وَالأَشعـارُ وَمُلَـحٌ تُقدَحُ مِنها النارُ

بِمِثلِهِم تُعاقَـرُ العُقـارُ وَتُمتَعُ الأَسماعُ وَالأَبصارُ

---

* الأغباش: جمع غبش هو بقية الليل/ الحزق: جمع حزقة وهي الجماعة جوافل أي شارد ونافورة/ القلاص: وهي الشابة من الإبل/ اليعملات: جمع يعملة وهي الناقة ناجية/ أجادل: وهو الصقر.

1) علي بن الجهم، مصدر سابق، ص128، مقطوعة رقم 51.

* ينظر الحاشية رقم (01) ص46، (ديوان علي ابن الجهم)، هو الأمير محمد بن داود بن عيسى السياسي ولى إمرة مكة سنة 21، وحج بالناس عدة سنين (النجوم الزاهرة ج2 ص235 و238، 275).

2) المصدر نفسه، ص429.

وهنا وفي هذه الأبيات وصف بن الجهم طول الليالي التي قضاها مع الأحبة والخلان، فلم يكن بينهم خائن ولا غدار، فكانت هذه الليالي الطويلة متاع لهم ولأسماعهم، فكان يسودها الموسيقى وقول الشعر وغيره من مجالس اللهو والمتعة، فلم تكن هذه الليالي تمض إلا بالحديث الطويل والسهر حتى بلوغ الفجر.

ب/الواد: فالواد يعتبر من المظاهر الطبيعية البدوية التي كانت تسود أشعار الشعراء البداة فكان الشاعر علي بن الجهم أحد هؤلاء الشعراء الذين تغنوا بهذه السمة فيقول:[1]

هذا العَتِيقُ فَعَدِّ أَي دي العيسِ عَن عُلَوائِها

وَامنَع نَواجِيَها النَجـا ءَ فَـلاتَ حينَ نَجائِها

وَإذا مَرَرتَ بِبِئرِ عُر وَةَ فَاسقِنِي مِن مائِها

وَاجنَح إلى السَمُراتِ أَو لِلسَّفـحِ مِـن جَمّـائِها

إِنّـا وَعَيشِكَ مـا ذَمَـم نـا العَيشَ في أَفنائِها

أَيّامَ لَم تَجـرِ النَوى بَينَ العَصـا وَلِحائِها

سَقيـاً لِتِلكَ مَعـاهِـداً إِذ نَحـنُ فـي أَرجائِها

مـا كانَ آنَسَـها وَأَش عَـفَ أُسدَه ـا بِظِبائِها

وَقَصيـدَةٍ غَـرّاءَ يَف نى الدَهـرُ قَبلَ فَنائِها

---

1) علي بن الجهم، الديوان، ص37-38.

* الواد: العتيق واد بالمدينة/ العيس: الإبل تضرب إلى الصفر/ العلواء: العلو وهو نشاط الشباب، عن من عد فلان أمر أي خلال وانصرف عنه/ نواجيها: النواجي جمع ناجية وهي الناقة السريعة/ لات: حرف مشبه بليس يعمل عمل ليس.

والعتيق هنا هو واد في المدينة وصفه من باب مدحه للخليفة المتوكل فربط جمال المتوكل بجمال الواد الذي جاء فيه خطابا لرفاقه وأحبته وخلا نه إذا مروا بهذا البئر وهو بئر عروة* أن يتريثوا ويجلسوا بهذا المكان لسحر منظره وليتفكروا الأيام والسهرات لأنها تمثل الأُنس والمحبة رغم المخاطر التي كانت تحيط بهم ال تي تشكلها بالدرجة الأولى الأسود والظباع، والشاعر هنا عاش الحس البدوي بكل صفاته ودخل في صراع بين حسه البدوي وحسه الحضاري.

2- الحيوان:

أ) **الإبل:** يعد الحيوان من أهم المظاهر الطبيعية التي لازمت الإنسان في مسيرته المعيشة سواء في خيرها أو شرها ، فكان مصاحب له في رحلاته ومتاعبه ومشا قه، فبرع شعراء العرب في وصفه وإظهار محاسنه ومظاهر قوته ونشاطه ، والإبل تُعَّد من أكثر الحيوانات التي نالت وصف الشعراء في أشعارهم فهي أكثر نفعًا للإنسان آنذاك ، فهي وسيلة تنقله ومصدر أكله وشربه ولبسه، فيأكل من لحمها ويشرب من لبنها ويلبس من جلدها كل هذا كفيل من أجل تقديسها وإبراز مكانتها.

ولما كان الشاعر علي بن الجهم من أبناء الصحراء الشاسعة وابن البادية كان اتصاله بالإبل وركوبها من أعظم الارتباطات بالصحراء وظروفها القاسية ، فوصفها بأجمل الأوصاف لما تقدمه من خدمة، فيقول بن الجهم في ذلك:[1]

وَأَخُو فَلَاةٍ سَهُوقْ وَسُقْتُ لَهُ خُنْفُ نَوَاحِلْ كَالْقِسِيِّ ذَوَابِلْ

* بئر عروة بعتيق المدينة تنسب إلى عروة بن الزبير بن العوّام (في معجم البلدان) ص2-6.

1) ينظر، أمل رجيان معيوف القتامي، الوصف في شعر علي بن الجهم، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في الأدب العربي، إشراف الأستاذ حسن محمد باجودة، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، السعودية، 1428هـ، ص40. السهوق: أي الصحراء الواسعة/ سقت: جملت/ خُنفٌ: أي اللينة في سير اليدين/ نواحل: أي نحيفات/ القسي: أي الرماح/ ذوابل: أي رقيقات يابسات.

أَوْ كَالْإِرَانْ تَضَاءَلَتْ أَنْقَاضَهُ وَكَذَاكَ ظَاهِر آلَهَا مُتَضَائِلُ

أَوْ كَالْقِدَاحِ أَجَالَهَا ذُو مَيَّعَـهُ جَذْلَان مِنْ نُجَبَاءِ قَارَّةِ نَابِـلِ

أَفْنَى ثَمَائِلْهَا اَلْوَجِيفْ وَسَايِقٍ غَـرَّدَ يُمَاطِلُهَا اَلنَّدَى وَتُمَاطِـلُ

يَقُصّ اَلْإِكَامْ بِهَا مَشِيقْ عَيْطَلْ مَـتْخَدَدْ اَلْخَدَّيْنِ أَقْلَحْ بَاسِـلْ

يَتْلُو شَوَارِدَهَـا عَلَى عِلَّاتِـهِ مَرَحًـا كَمَا يَتْلُو اَلسِّنَانُ اَلْعَامِـلُ

فَـإِذَا اَسْتِرَابْ بِرَبْوَةٍ أَوْ رَهْـــوَة فَلَهُـنَّ عَنْهُ تَجَـانَفْ وَتُزَايِـلَ

"وفي بداية هذه الأبيات بدأ الشاعر علي بن الجهم بوصف حبه للصحراء الواسعة التي عاش فيها وركب على ظهر الإبل ، وهنا وصف عظمة الخالق التي تتجلى في إبداعه ،فخلق هذه الإبل كما وصف وانفعل بحركتها السريعة وظ مورها كأنها الرماح اليابسة الدقيقة أو الثور الوحشي الذي انضم بعض أجزاء بدنه إلى بعض، فكانت هذه الإبل تشق الأماكن المرتفعة".[1]

ب/الناقة: هنا الناقة وصفها الشاعر لسرعتها التي أوردته إلى ديار أبيه وعمه بخراسان فقال:[2]

نَشَطَت عُقلُها فَهَبَّت هُبوبَ ال ريحِ خَرقاءَ تَخبِطُ البُلدانا

إيران: الثور الوحشي/ تضاءلت: تضاءل الشي أي انضم بعضه إلى بعض/ آلها، آل السراب والآل تعني الشخص/ القداح: جمع قدح وهو السهم قبل أن يراش/ ثمائلها: أي البقية من العلف/ الوجيف: السرعة في السير/ غرُدُ: هو كل انسان صانت طرب في الصوت/ تقص: يقطع الأكام الموضع الأكثر ارتفاعًا عما حوله/ مشيق: ضامر خفيف/ عيطل: طويل/ متخدد: أي مهزول/ ربوه: أماكن مرتفعة/ رهوة: أماكن منخفضة.

1) ينظر، أمل رجيان معيوف القتامي، الوصف في شعر علي بن الجهم، ص41.

2) علي بن الجهم، الديوان، ص128–129، المقطوعة رقم (167).

الناقة: العقلة: ما يعقل به كالقيد أو العقال/ خرقاء: أي الناقة التي لا تتعهد مواضع قوائمها/

أَورَدَتنـا حُلوانَ ظُهراً وَقَرمـي سينَ ليلاً وَصَبَّحَت هَمَذانا

أَنظَرَتنـا إِذا مَرَرنـا بِمَـــروٍ وَوَرَدنـا الرَزيقَ وَالماجانـا

فالناقة هنا وصفها ووصف سرعتها ونشاطها، كما أنه تذكر من خلال وصفها موطنه وموطن أجداده، فعندما ركبها وانطلقت به بسرعة هائلة وصلت به إلى همذان مع إشراقة الصبح، تمهلت هذه الناقة تستوقف في مدينة – مرو*– حيث دار أبيه وعمه إدريس، فوقف الشاعر عليها ليُسلم على أهلها مفتخرًا بذلك بموطنه الأصلي.

ج/الحية: كان البدو قديمًا كثيري الترحال في تلك الصحراء والرمال الغامرة والحجارة الغليظة، فكانت رحلاتهم مليئة بالتشويق والمغامرات فكان معظمهم يتعرض لحوادث طبيعية سواء كان ذلك من الحيوانات التي تعترض لهم وغيرها...، فكلما صادفهم شيء من هذا ذكروه في أشعارهم ووصفوه وصفًا دقيقًا، قد تناول الشعراء الحية بالوصف "فبرعوا في وصف الرأس والعين والناب والسُّم حتى الأماكن التي وجدوها فيها أو التي تأوي إليها أو تمر منها حتى".[1]

فيقول الجاحظ في وصفها: "وليس في الأرض شيء جسمه مثل جسم الحية إلا والحية أقوى بدنًا منه أضعافا".[2]

والشاعر علي بن الجهم يصف جسم الحية فيقول في ذلك:[3]

جِسْـمٌ كَعُـودِ أَرَاكِ مـا يُرْتَضَـى لِسـوَاكِ

* مرو– أشهر مدن خرسان وبها الرزيق والماجان وهما نهران كبيران، معجم البلدان – مادة مرو – / حلوان: مدينة في آخر حدود السواد مما يلي جبال بغداد/ قرميسن: مدينة/ مرو: أشهر مدة خرسان.

1) ينظر، الحية في التراث العربي، دا أحمد إسماعيل يحي، قدم له دا ياسين الأيوبي، الطبعة 1، 1418هـ/1997م، المكتبة العصرية، بيروت، ص125.

2) أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، الحيوان، تحقيق عبد السلام محمد هارون، ط 2، مطبعة البابي الجلي وأولاده، مصر، ج4، 1385هـ/1986م، ص111.

3) علي بن الجهم، الديوان، ص259.

مَـا فِيهِ نَفْعٌ لِبَـاغٍ إلاَّ انْتِحَـــالُ سِـــوَاكِ

فهنا تشبيه واضح حيث شبه الشاعر على بن الجهم جسم الحية بالعود ألا وهو عود السواكِ، فهو تشبيه خارجي لا داخلي فهي لا تشبهه من حيث الانتفاع فعود السواك يَنتفع منه الإنسان ويتطيب به أما الحية فلا يوجد في جسمها نفع لمن يقترب منها ويلمسها.

د/الكلب: يُعَّد الكلب الحيوان الملازم للإنسان منذ القديم وخاصة عند الإنسان البدوي، فهو الصاحب والرفيق والصديق له يُعَّد الحارس الأمين للقطيع والبيت وملازمه في الصيد وطريقة عيشه كذلك، هذا ما أعطاه مكانة عظيمة عند الإنسان البدوي.

والعرب كانت تقول في الكلاب: "والكلاب أصناف لا يحيط بها إلا من أطال الكلام وجملة ذلك أن ما كان منها للصيد فهي الضَّراء، وأوحدها ضروة وهي الجوارح والكواسب، ونحن لا نعرف منها إلا السلوقية وهي من أحرار الكلاب وعتاقها".[1]

كما أن لفظة الكلب كانت معنى الشر وقلة المقدرة والعجز حتى أن العرب كانت تقول في ذلك أيضًا: "ما بلغ من قدر الكلب من لؤم أصله، وخبث طبعه وسقوط قدره أو مهانة نفسه ومع قلة خيره وكثرة شره، واجتماع الأمم كلها على استسقاطه واستسفاله ومع ضربهم هذا المثل لدلالة على العجز عن صوله السباع واقتدارها".[2]

وقد كان لِذكر الكلب في شعر علي بن الجهم نصيب من الذكر، وقد تناقلت بعض الكتب قصة طريفة للمتوكل وعلي بن الجهم، ولكنها غابت في سطور كتب التراجم التي ترجمت له.

1) الجاحظ، الحيوان، مصدر سابق، ص111.

2) المصدر نفسه، ص102.

يروى أن الشاعر بن الجهم كان بدويًا صحراويًا جافًا فظًا غلبت عليه حياة البداوة وقسوتها، فقصد بلاط المتوكل وأراد مدحه بالوفاء والشجاعة والكرم، فاستقى ألفاظه ودلالتها من البيئة البدوية التي عاشها وترعرع فيها، فقال:[1]

أنتَ كَالكَلبِ في حِفاظِكَ لِلوُدِّ وَكَالتَيسِ في قِراعِ الخُطـــوبِ

أَنتَ كَالدَلوِ لا عَدِمناكَ دَلواً مِن كِبارِ الدِلا كَثيرَ الذَنوبِ

فثار الحاضرون ودُهشوا كيف لهذا الشاعر أن يُشَّبه الخليفة المتوكل بالكلب والتيس والدلو، ويقصد بالكلب في حفظه للود والوفاء، والتيس في مواجهة المصاعب والأخطار، وكالدلو الذي يحمل الماء ويجلبها كثير الذنوب أي غزيرة من قاع البئر، ولكن الخليفة المتوكل كان حليما ولم يغضب ولم تصبه الدهشة، وفهم مرامي الشاعر ومقاصده وأدرك بلاغة الشاعر، ورغم خشونة لفظه وأدرك أنها مستسقاة من مكان عيشه وملازمته البادية والبيئة التي حوله، وقد وصفه بكلب لأنه أغلى ما يمكن للبدوي أن يملكه هو تيس ودلو وكلب وغيرها...

ومما لا شك فيه أن معجم العربية أعطى للكلب صفة الوفاء والإخلاص مما جعل الشاعر علي بن الجهم يُثني على خلائق هذا الحيوان ويحمدها، والكلب في ذلك الوقت يعبر عن الأشخاص الموجودين في البيت الذي يحرسه وذلك بعد أن تسكن النفوس إلى مضاجعها، وهذا ما عبّر عنه في البيتين يقول:[2]

أوُصيكَ خَيـراً بِـهِ فَإِنَّ لَهُ سَجِيَّةً لا أَزالُ أَحمَدُه ــا

يَدُلُّ ضَيفي عَلَيَّ في غَسَقِ ال ليلِ إِذا النارُ نامَ موقِدُها

1) علي بن الجهم، الديوان، ص78.

الود: الوفاء/ الذنوب: الحبال الطويلة

2) علي بن الجهم، المصدر نفسه، ص118.

وهنا الشاعر يؤكد ويوصي بهذا الحيوان لسجيته التي يحمدها في كل مرة، فهو الحارس الأمين للبيت طوال الليل والنهار.

وكان للشاعر علي بن الجهم تحكم في الطبيعة واضح، فقد جعل منها أداة طبع لِجَوِّه النفسي والوجداني يقلبها كيفما شاء وأينما حل، فهو يرسمها ويصورها وفق مشاهدته الحسية والفكرية، فقد جعل من كل هذا مرآة عاكسة لطابعه الوجداني الذي يعيشه ألا وهو الطابع البدوي، وكان الشاعر العباسي ليس كغيره من الشعراء فقد أثرت فيه الطبيعة وبمختلف ألوانها بشكل خاص فأصبح يحاكي بها التطور العمراني والحضاري الذي وصل إليه هذا العصر أنذاك، فكان للحضارة أثر واضح تجلى في فكر الشاعر وخياله وحتى طبيعة ألفاظه، والشاعر علي بن الجهم لم يكن في منأى عن كل ذلك التطور الذي شهده عصره، فالقارئ لديوانه يلحظ معجم لغوي ثري بألوان الحضارة بمختلف المجالات، وهذا ما سنحاول التطرق إليه في المبحث الثاني من خلال قصائده سواء ما تعلق ببيت الخلافة أو الملابس أو الحلي.

ثانيا: سمات الحضارة في شعر علي بن الجهم

الازدهار الاجتماعي والتقدم العلمي والثقافي والتغيير الذي طرأ على المجتمع العباسي هو الصورة الحضارية التي استقى منها علي بن الجهم وأثرت فيه فوصفها لذاتها حينًا كما نعتها من أجل ممدوحه حينًا آخر.

فنرى في ديوانه جملة من المواقف التي ينعت ويصف فيها ما يتعلق بالخلفاء وحضارتهم وما بنو وشيدوا، كانت له دقة رائعة في التصوير والتعبير لتلك المظاهر العمرانية، واتخذه المتوكل جليسا له، هذا ما جعل الشعراء يكيدون له فنفاه بعد أن حبسه مدة.

1- وصف القصور:

تعتبر القصور أيقونة الحضارة إذ لا يمكن تخيل حضارة بُنيت دون قصور وهي رمز التطور والتحضر وسمة من سمات الرقي الإنساني الذي وصل إليها من خلال تطوره من حال إلى حال، وهذا في المجال العمراني والحضارة العباسية التي عاش فيها شاعرنا هي الأخرى عُرفت بقصورها البديعة فهي من أروع القصور إن لم نقل أروعها عبر التاريخ، فالقصر في الدولة العباسية ارتبط بالخليفة فهو مسكنه ومقر حكمه، فيه تُدار شؤون البلاد ولعل أن ما حظيت به القصور من حديث للشعراء في دواوينهم ما جعلنا نتخيلها بتلك الصورة البهية، فالشاعر إذا مدح الخليفة لابد من ذكر مناقبه ومنجزاته ولمساته في الحكمة والتشييد، فمدح القصر هو مدح لصاحبه، يقول الشاعر علي بن الجهم في مدح الخليفة المتوكل مُشيِّدا بمقامه وقصره:[1]

ما زِلتُ أَسمَعُ أَنَّ المُلوكَ تَبني عَلى قَدرِ أَخطارِها

وَأَعلَمُ أَنَّ عُقولَ الرِجـا لِ يُقضى عَلَيها بِآثارِهـا

فَلِلرومِ ما شادَهُ الأَوَّلونَ وَلِلفُرسِ مَـأثورُ أَحرارِهـا

فَلَمّـا رَأَينـا بِنـاءَ الإِمـامِ رَأَينـا الخِلافَةَ في دارِهـا

وَكُنّـا نَعُـدُّ لَهـا نَخـوَةً فَطَـأَمَنتَ نَخـوَةَ جَبّارِهـا

وَأَنشَـأَتَ تَحتَجُّ لِلمُسلِميـنَ عَلـى مُلحِديهـا وَكُفّارِهـا

بَدائِـعَ لَم تَرَهـا فـارِسٌ وَلا الرّومُ في طولِ أَعمارِها

صُحونٌ تُسافِرُ فيها العُيونُ وَتَحسِرُ عَن بُعدِ أَقطارِهـا

وَقُبَّـةُ مُلـكٍ كَأَنَّ النُجـو مَ تُفضـي إِلَيـهـا بِأَسرارِهـا

1) علي بن الجهم، الديوان، ص28-29.

تَخِرُّ الوُفـودُ لَهــا سُجَّــداً إذا مـا تَجَلَّـت لِأَبصارِهــا

إذا لَمَعَت تَستَبيـنُ العُيـو نُ فيهــا مَنـابِتَ أَشفـارِهـا

وَإِن أوقِدَت نارُهــا بِالعِــرا قِ ضـاءَ الحِجازَ سَنا نارِهـا

لَهـا شُرُفـاتٌ كَـأَنَّ الرَبيـعَ كَساهـا الرِيـاضَ بِأَنوارِهــا

في البيت الأول توضيح لما هو معروف عن الحضارات والملوك فالخليفة الممدوح هنا هو صاحب العقل الزاجر بالإنجاز ليستطرد في باقي الأبيات مُشيدًا بما فعله خليفته إذ يشير إلى عظمة ما قام به الخليفة الذي تشهد به آثاره في الواقع.

في البيت الثالث مقارنة بين التطور الذي وصلت له الحضارة الإسلامية ودولة بني العباس وما سمعنا عنه في حضارة الفُرس والروم قديما، بل ويرتقي به في البيت الذي يليه مبينًا أن ما قام به الخليفة طمس ما قبله وجعل منه معقل لكل الأجناس.

في البيت السابع كلام صريح دون تلميح بأن ما وصل إليه هذا الممدوح لم تصله فارس والروم وهذا في مجال العمران بصفة عامة والقصور بصفة خاصة وفي الأبيات التي تليها تفصيلًا لأرجاء هذا القصر **القصر الهاروني** فهو يصفه جزء جزء وكأنه يأخذنا في جولة بين أرجائه وهذا ما يدل على تمكن شاعرنا من الوصف، ليتحدث عن القبة التي تعتبر ميزة أساسية في القصور يشبهها بالسماء المزينة بالنجوم والرياض البديعة الموزعة في الشرفات وكأن كل عامها ربيع من اخضرار وأزهار.

ويقول أيضا يمدحه ويصف بنيان داره:[1]

بانَ بِقُربِ الخَليفَةِ التُحَـفُ مَحَلٌّ صِدقٍ وَرَوضَـةٌ أُنُفُ

دارٌ تَحـارُ العُيونُ فيها وَلا يَبلُغُها الواصِفونَ إِن وَصَفوا

1) علي بن الجهم، الديوان، ص14.

لَم تَنتَسِب قَبلَهُ إِلى أَحَـدٍ وَلا تَحَلَّـت مِنَ الأُلى سَلَفوا

البَحرُ وَالبَرُّ فـي يَدي مَلِكٍ تُشرِقُ مِن نورِ وَجهِهِ السُدَفُ

رسم الشاعر صورة فنية تتجلى فيها كل مزايا القصر الهاروني حيث أشار إلى الموقع الجغرافي المتميز الذي يقع بين البر والبحر حيث نهر دجلة، كما أشاد إلى ساكنه هذا الخليفة العادل الذي لم يسكن من الخلفاء قبله في هذا النوع من القصور.

2- وصف الفوارة:

الفوارة هي مظهر من المظاهر الحضارية التي ظهرت بشكل لافت في العصر العباسي، وهي تشكل شكل من أشكال الفنون المعمارية وكثيرا ما كانت تبنى في القصور لتعطي مظهرًا وطابعا جماليا من نوع آخر.

والشاعر علي بن الجهم لم يتعرض وصفه للفوارة بقصيدة شعرية كاملة، وإنما تعرض لها من باب وصفه للقصر الهاروني، ويظهر ذلك في قوله:[1]

وَفَوّارَةٍ ثَأرُهـا في السَمـاءِ فَلَيسَت تُقَصِّـرُ عَـن ثارِهـا

تَرُدُّ عَلى المُزنِ ما أَنزَلَـت عَلى الأَرضِ مِن صَوبِ مِدرارِها

لَوَ اَنَّ سُلَيمـانَ أَدَّت لَـهُ شَياطينُـهُ بَعضَ أَخبـارِهـا

تحدث علي بن الجهم في هذه الأبيات واصفًا بدقة عالية ما عُرف بالنافورة، التي بدورها احتلت حصة الأسد في البديع الحضاري في ذلك الزمن إذ لا يخلو قصر فاخر منها، صور بن الجهم الفوارة على أنها شيء حي وبث فيه الحركة والإحساس وجعل منه إنسانًا ثائرًا في تدفق مياهه للأعلى.

القارئ لهذه الأبيات للوهلة الأولى وجد نفسه بين قصور الدولة العباسية أمام إرث حضاري عملاق لخصت قمة التطور الإنساني.

1) علي بن الجهم، الديوان، ص148-149.

3- وصف المركب:

بناء السفن من المظاهر الحضارية التي عُرفت بها الحضارة العباسية نظرًا لاستخدامها في مجالات متعددة، استعملوها كوسيلة نقل وعبور على الأنهار والبحار، كما استعملوها في التجارة وفي حروبهم.

المركب أو السفينة حضي باهتمام الشعراء ومن هؤلاء علي بن الجهم وصف المركب وتعرض بكل أجزائه الداخلية والخارجية، ومجاديفها وما يتميز من طباع وحركات وأصوات، إذ يقول:[1]

عَجِبتُ كُلَّ العَجَبِ مِن سَيرِ هذا المَركَبِ

وَما لَهُ عَينٌ وَلا روحٌ جَرَت في عَصَبِ

لِجامُهُ مِن خَلفِهِ مُرَكَّبٌ في الذَنَبِ

مُزَيَّنٌ بِالوَدعِ في ال صَدرِ وَرَمعِ العَذَبِ

وَمالَهُ مِن ثَفَرٍ وَمالَهُ مِن لَبَبِ

سِياطُهُ في سَيرِهِ دَفعُ مَرادي الخَشَبِ

إِذا اِستَحَثَّتهُ مَجا ذيفٌ لَهُ في الطَلَبِ

أَعنَقَ فَوقَ الماءِ في هَملَجَةٍ أَو خَبَبِ

لِلماءِ في حَيزومِهِ مِن صَوتِ مُوجٍ صَخِبِ

حَشرَجَةٌ كَالرَعدِ في عارِضِ غَيثٍ لَجِبِ

يَنسابُ كَالحَيَّةِ في عَطفِ ذُنابي العَقرَبِ

---

1) علي بن الجهم، الديوان، ص114-115.

لَهُ شِراعٌ مُشرِفٌ كَالبَندِ يَومَ الشَغَبِ

مُنتَصِبٌ تَجذُبُهُ الى أَرسانُ جَذبَ الطُنُبِ

لِلرّيحِ فيهِ حَنَّةٌ مِن جَريِهِ المُنجَذِبِ

فُرسانُهُ الأَنباطُ مِن مَيسانَ أَهلِ الرِيَبِ

في هذه الأبيات نجد أن الشاعر في حالة ذهول وانبهار من سير هذه السفينة التي لا عين لها ولا لجام، ويعترف بأنها أعجوبة جاءت على العصر العباسي.

وصف السفينة وصفًا ماديًا حيث شبهها بالفرس الذي تكون له لجام وسوط في حين السفينة لا تملكه.

كما شبه الصوت الذي تصدره عند سيرها في الماء بتردد صوت الرعد عند نزول الغيث، وطريقة سيرها بالحية أو العقرب.

فنجد هنا الشاعر علي بن الجهم وصف المركب بدقة لم يترك أي جزء منها، حيث شمل وصفه كل أجزائها الداخلية والخارجية.

4- وصف البِركة:

لقد كانت البِرك مظهرا الحياة المادية العباسية تعكس قوة وعظمة صانعها، فهي باب من أبواب التزيين المعماري الذي يعبر عن ما وصل إليه بنو العباس، يقول علي بن الجهم في البركة:[1]

أَنشَأتَها بِركَةً مُبارَكَةً فَبارَكَ اللَهُ في عَواقِبِها

حُفَّت بِما تَشتَهي النُفوسُ لَها وَحارَتِ الناسُ في عَجائِبِها

لَم يَخلُقِ اللَهُ مِثلَها وَطَناً في مَشرِقِ الأَرضِ أَو مَغارِبِها

1) علي بن الجهم، الديوان، ص32.

كَأَنَّـها وَالرِياضُ مُحدِقَـةٌ بِهـا عَروسٌ تُجلى لِخاطِبِـها

مِـن أَيِّ أَقطــارِها أَتَيتَ رَأَي تَ الحُسنَ حَيرانَ في جَوانِبِـها

لِلمَـوجِ فيـها تَلاطُـمٌ عَجَـبٌ وَالجَزرُ وَالمَـدُّ فـي مَشارِبِـها

قَـدَّرَه ــا اللَـهُ لِلإِمــامِ وَمــا قَـدَّرَ فيـها عَيبـاً لِعائِبِـها

أَه ـدَت إِلَيـها الدُنـيا مَحاسِنَها وَأَكمَـلَ اللَـهُ حُسنَ صاحِبِها

وفي هذه الأبيات للشاعر علي بن الجهم تندرج هذه الأبيات في فرض المدح فهو يمدح الخليفة مشيدًا بما صنعه، يستهل القصيدة بكلمة أنشأتها فهو يأخذنا للمسة الخليفة فالبِركة لم تتشكل طبيعيا بفعل الزمن فهي بركة مباركة لها وقتها الجمالي تسر الأنفس فضلًا عن منافعها، ليُصور لنا الشاعر بدقة مظهر هذه البِركة وكأننا نُطل على مشارفها جمال البركة جمال غير عادي فهي أعجوبة في نظر من رآها.

يجزم الشاعر أن لا مثيل لهذه البركة في مشارق الأرض ومغاربها وهذا يوضح الزخم الحضاري الذي وصل إليه بنو العباس.

في البيت الرابع تشبيه لهذه البركة بالعروس وطالما عُرفت العروس بالجمال والتجمل فحيث ما أطَليت على هذه البركة يقابلك جمالها من كل جانب، ليستطرد في باقي الأبيات واصفا جمال هذا الإنجاز العظيم، ليصل في النهاية لمدح صاحبه وهو الخليفة، فجمال البركة عند الشاعر من جمال صاحبها.

5- وصف الشطرنج:

يُعدُّ الشطرنج من مظاهر اللهو والترفيه عن النفس التي عرفها العباسيون في سبيل رقي حياتهم المادية والفكرية، فهم يجعلون من هذه اللعبة منافسة حربية من نوع سلمي، وشاعت بين مجالس الخلفاء وبعض الولاة والوزراء، وكأن هذه اللعبة لازمت الطبقة

المرموقة تعبيرًا عن رقيهم ومدى ما وصلوا إليه من الحياة المترفة، ويقول علي بن الجهم في ذلك:[1]

أَرضٌ مُرَبَّعَـةٌ حَمـــراءُ مِن أَدَمِ ما بَـيـنَ إِلفَـيـنِ مَعروفَينِ بِالكَـرَمِ

تَذاكَرا الحَربَ فَاِحتالا لَها فِطَناً مِـن غَيرِ أَن يَأثَما فيها بِسَفكِ دَمِ

هذا يُغيرُ عَلى هذا وَذاكَ عَلى هذا وَعَـيـنُ حَليفِ الحَزمِ لَم تَنَـمِ

فَاِنظُر إِلى بُهَمٍ جاشَت بِمَعرَكَةٍ فـي عَسكَرَينِ بِلا طَـبلٍ وعَلَـمِ

في البيتين الأولين من هذه القصيدة يُبرز الشاعر مظهر حضاري رفيع، فالحروب التي كانت تُسفك فيها الدماء ويروح ضحيتها الرجال والنساء وتُدَكُ فيها الحصون استطاع أبناء هذا العصر أن يجعلوا منها لعبة على رُقع مربعة صغيرة بين الأصدقاء، يُظهر فيها كل لاعب مدى براعته وقوته في كيفية تحريك البيادق والتغلب على خصمه وهنا تظهر مفارقة عجيبة، الحرب التي كانت بالأمس رمز الألم جعلت منها رمز للتسلية واللهو، فإذا كانت حرب الأمس بالسلاح فهذه الحرب تعتمد على الذكاء.

فأبيات الشاعر كلها وصف لسيرورة هذه اللعبة لتكون الشطرنج رمز الحضارة والثقافة فهي لعبة الملوك.

وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على دولة وصلت إلى معنى التحضر الحقيقي وهذا في كل المجالات.

6- وصف مجالس اللهو:

شاعت مجالس اللهو والعبث بشكل لافت في الدولة العباسية وهذا ناتج من الفساد الاجتماعي الذي عرفه هذا العصر بالذات، فكانت تقام حانات تستقطب جملة من المغنين والمغنيات، وتتوفر على ما لذ من الأطعمة وما تقدمه من أجود الخمور وأعتقها التي

1) علي بن الجهم، الديوان، ص179.

تترك من الشخص يعيش اللحظة بكل متعة وبمحبة وسرور، وما زاد من شيوع هذه الظاهرة هو الفساد الذي عرفه مجلس الخلفاء من شرب الخمر والاستمالة إلى الجواري وسماع أغانيهم.

وصوّر علي بن الجهم جانبا من لهوه ومجونه يصف فيه الخمرة ومكان شُربها في ديوانه، إذ يقول:[1]

الوَردُ يَضحَكُ وَالأَوتارُ تَصطَخِبُ وَالنـايُ يَندُبُ أَشجــاناً وَيَنتَحِـبُ

وَالراحُ تُعرَضُ في نَورِ الرَبيعِ كَما تُجلى العَروسُ عَلَيها الدُرُّ وَالذَهَبُ

وَاللَهــوُ يُلحِقُ مَغبوقاً بِمُصطَبِحٍ وَالدَورُ سِيّانِ مَحثوثٌ وَمُنتَخَـبُ

وَكُلَّمـا اِنسَكَبَت في الكَأسِ آنِيَـةً أَقسَمتُ أَنَّ شُعاعَ الشَمسِ يَنسَكِـبُ

وَالقَومُ إِخوانُ صِدقٍ بَينَهُم نَسَـبٌ مِـنَ المَـوَدَّةِ لَم يُعدَل بِـهِ نَسَـبُ

تَراضَعــوا دِرَّةَ الصَهبـاءِ بَينَهُــمُ وَأَوجَبوا لِرَضيعِ الكَأسِ ما يَجِــبُ

لا يَحفَظونَ عَلى السَكرانِ زَلَّتَـهُ وَلا يَريبُكَ مِـن أَخلاقِهِــم رِيَـبُ

نِعــمَ المُؤَدِّبَـةُ الأَيّـامُ وَالحِقَـبُ وَلِلزَمــانِ عَلـى عِلّاتِـهِ عُقَـبُ

ابتدأ الشاعر وصفه لمكان اللهو وشرب الخمر بتجسيد معنوي في قالب حسي، حيث دلّ على جو المرح والسعادة الذي يخلقه شرب الخمر في قوله (الورد يضحك)، فالشاعر هنا أبدع في وصف مجالس اللهو وما داخلها من طرب وصخب واختلاط الأنغام وبالأنغام، وأن الذين يجتمعون في هذه المجالس رغم اختلافهم في الأنساب إلا أنهم إخوة لأم واحدة أرضعتهم من الكأس.

1) علي بن الجهم، الديوان، ص67-68.

ومن خلال هذا كله يتضح أن الشاعر علي بن الجهم نقل الصورة الحضارية السائدة في عصره بكل صدق فني، ولم يصف الجانب الإيجابي فقط بل تطرق أيضا إلى الجانب السلبي من خلال مظاهر المجون وشرب الخمر التي شاعت آنذاك، فبشعره عبر عن كل تلك المتغيرات وتدوين لتلك الحضارة وما تجلى فيها.

ولقد كانت معاصرة على بن الجهم للطبقات المرموقة وتعايشهم وسطهم كانت دافعًا قويًا أدى إلى علوه في مضمار الفن الشعري، فقد أنشد قصيدة جديدة، قصيدة من أرقى الشعر وأعذبه يقول في مطلعها:

عُيونُ المَها بَينَ الرُصافَةِ وَالجِسرِ جَلَبنَ الهَوى مِن حَيثُ أَدري وَلا أَدري

يقول المتوكل أنظروا كيف تغيرت به الحال والله خشيه عليه أن يذوب رقة ولطافة.

إن الطبيعة التي عاشها علي بن الجهم منحته خيالا خصبا، فقد انتقل من البداوة إلى الحضارة، لذلك عرف لغة البادية وجزالتها ثم راح يمنحها الصورة الحضارية التي عاشها، وكان شعره حافلا بالجوانب الحضارية التي تعبر عن تطورات العصر وسلوكياته.

الخاتمة

لكل بداية نهاية ونهاية هذه الدراسة هي الوصول إلى جملة من النتائج التي من شأنها أن تُثري ميدان البحث العلمي، وهي في الأصل تجسيد لتلك الأهداف المسطرة منذ البداية وإجابة لعدة تساؤلات طُرحت في منطلق الدراسة أثارت الفضول من أجل الخروج بعدة نتائج دُونت على النحو الآتي:

– إن البدو ظاهرة عريقة في المجتمع العربي، وُجدت منذ أن وُجد ذلك المجتمع وهي ظاهرة مستمرة إلى يومنا هذا.

– تماثل البدو في مساكنهم وملابسهم.

– اتصفت أواني طعامهم وشرابهم بالبساطة، وقد اهتموا بأواني الطعام كالقدور والجفان.

– وتبين من خلال دراسة نماذج من الشعر الجاهلي الجانب الحضاري المادي في حياة العرب الاجتماعية، فقد عرف العرب صناعة أنواع كثيرة من الملابس، واطلعوا على ما عند الأمم المجاورة، وأضافوا إليها ما توافر في بيئتهم، إذ كان لتوافر الصوف والشعر والوبر في الجزيرة العربية دور كبير في تنوع أصناف الملابس التي تمثل في طريقة صنعها وتحضيرها ملمحًا حضاريًا بارزًا.

– صور العصر العباسي جانبا آخر من الجوانب الاجتماعية الحضارية ارتبط بحديث الشعر عن أواني الطعام والشراب، كما أنه من المظاهر الحضارية الاجتماعية المادية ما عُرف عند العرب من صناعة أنواع العطور وتعدد أصنافها.

– علي بن الجهم من الشعر الوصافين للمظاهر الحضارية البارزة في العصر العباسي، ونلحظ ذلك من خلال البراعة الشديدة في نقل هذه الصورة الواقعية.

– طرق الشاعر موضوعات الوصف من خلال تعرضه للمظاهر الحضارية كالبِرك والقصور التي تتماشى مع مدح الخلفاء العباسيين وخاصة الخليفة المتوكل الذي نال نصيبا وافرًا من شعره.

– تعمق الشاعر في المشاهد الطبيعية تعمقا واضحا، ومن أهم هذه المشاهد وصفه للورد والليل والوادي والناقة.

–نشأ الشاعر علي بن الجهم بين احضان اسرة مرموقة المنصب لها الحظ الوافر من الأدب والعلم وهذا يعكس مدى الثقافة التي وصل اليها المجتمع العباسي في هذه الفترة الزمنية.

–ازدواجية الحياة البدوية والحضارية عند بن الجهم جعلها تنعكس على بناء حسه الشعري وعاطفته واثراء مخزونه اللغوي فتنوعت سمات شعره بين وصف الطبيعة البدوية ونمط المعشي فيها فجاء شعره جزلا متينا وانتقاله الى الحضر فوصف القصور ومدح الخلفاء بشعر اتسم بالرقة واللين والعذوبة الحضارية.

وأخيرا نسأل الله التوفيق والسداد في هذه الدراسة، وأن يكتب لنا الأجر والثواب في العمل ومهما بلغ الإنسان من جهد فإن الكمال لله سبحانه وتعالى.

قائمة المصادر والمراجع

المصادر والمراجع

*** القرآن الكريم برواية ورش**

أ) المصادر

01) امرؤ القيس، الديوان، تحقيق محمد أبي الفضل ابراهيم، دار المعارف، القاهرة، 1405هـ، 1984م.

02) جران العود النميري، ديوان صنعة أبي جعفر محمد بن حبيب، تحقيق نوري حمودي القيسي، دار الرشيد، العراق، 1972م.

03) حاتم الطائي، الديوان، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 2004م.

04) ابن ربيعة، الديوان، تحقيق احسان عباس، الطبعة الحكومة، الكويت، 1984م.

05) زهير ابن أبي سلمى، الديوان، تحقيق كرم البستاني، دار صادر، دار بيروت، دت.

06) طرفة بن العبد، الديوان، تحقيق فوزي عطوي، دار صعب، بيروت، 1980م.

07) ابن طيب عدة، الديوان، تح قيق يحي جنبوري، بيروت، دار التربية للنشر والتوزيع، 1971م.

08) ابن عاديا السموأل، الديوان، شرحه عمر فاروق الطباع، دار الأرقام للنشر، دم، 1997م.

09) علقمة الفحل، الديوان، تح قيق لطفي الصقال ودرية خطيب، ط 1، دار الكتاب العربي، حلب 1979م.

10) علي بن الجهم، الديوان، تح قيق خليل مروم بك، المملكة العربية السعودية، وزارة المعارف السعودية.

11) العبلدي عدي بن زيد (الديوان)، حققه وجمعه محمد جبار، شركة دار الجمهورية، بغداد، 1995م.

12) النابغة الذبياني، الديوان، تحقيق أبو الفضل ابراهيم، القاهرة، دار المعارف، دت.

ب) المراجع

13) أحمد أمين، فجر الاسلام، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط10، 1965م.
14) إحسان محمود سليمان، أستاذ الأدب واللغة، المكان في المقدمات الطللية في شعر المعلقات، كلية التربية والآداب، جامعة تبوك، السعودية، جانفي 2020م.
15) الأزهري أبو منصور محمد بن أحمد (ت 370هـ)، تهذيب اللغة، تحقيق عبد السلام هارون، الدار العصرية للتأليف والترجمة، القاهرة.
16) بشر بن أبي حازم الأسدي، تح قيق عزة حسن، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 1972م.
17) الجاحظ عمرو بن بحر أبي عثمان، الحيوان، تحقيق عبد السلام محمد هارون، ط2، مطبعة البابي الحلبي وأولاد، مصر، ط4، 1986/1388م.
18) أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، 2001، البيان والتبيين، دار مكتبة الهلال، بيروت، ج3.
19) جمال شعبان وآخرون، فكر ابن خلدون الحداثة والحضارة والهيمنة، مركز الدراسات الوحدة العربية، سلسلة الكتب المستقبل العربي، دار النشر بيروت، ط1، فبراير 2007.
20) جواد علي، 2001، المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام، ط 4، دار الساقية، ج14.
21) ابن خلدون عبد الرحمان بن محمد (ت 1382هـ)، المقدمة، تحقيق عبد الله محمد الدرويش، دار العرب، دم، 2004.
22) أبو خليل د شوقي، الحضارة العربية الاسلامية وموجز عن حضارات سابقة، مج 1، ط2، بيروت، دمشق، دار الفكر، 1417هـ/1996م.
23) الرازي محمد بن أبي بكر، مختار الصحاح، تد قيق عصام فارس الحرستاني، دار عمار للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط10، 2008.
24) الرزكلي خير الدين بن محمود، الأعلام دار العلم للملايين، بيروت، 2002.
25) الزوزني أبي عبد الله الحسين بن أحمد، شرح المعلقات السبع الطوال، تح قيق دار العالمية، بيروت، لبنان، 1413هـ/1992م.
26) ابن سلام الجمحي، طبقات فحول الشعراء، القاهرة، 1951م.

27) السعدي اسماعيل، الغريبي نسيمة، تجربة توطين البدو الرُّحل، مجلة الباحث الاجتماعي، العدد10، 2010م.

28) الصفدي نعيم أسعد والأسطل، عبد اللطيف مصطفى، الاعراب في ضوء التربية الدينية، مجلة الجامعة الاسلامية، المجلد 18، العدد1، 2010م.

29) صبلو محي الدين ومليكة لويس كامل، البدو والبداوة: مفاهيم ومناهج، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، 1986م.

30) علي بن عبد العزيز الجرجاني، الوساطة بين المتنبي وخصومه، تح قيق محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ط1، 2006م.

31) عيد صلاح، رعاية البدو في المملكة العربية السعودية، القاهرة، الجامعة العربية، 1985م.

32) ابن قتيبة، عيون الأخبار، القاهرة، دار الكتب.

33) القرشي أبو زيد محمد بن أبي الخطاب، جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والاسلام، 1 مج، تحقيق علي محمد البجاوي.

34) الكردي ابراهيم سليمان، المرجع في الحضارة العربية الاسلامية، الاسكندرية، مركز الاسكندرية للكتاب، 1999م.

35) الكيلاني د. ابراهيم زيد وآخرون، دراسات في الفكرة العربي الاسلامي، مج 1، ط3، عمان، 1991م.

36) محمد زهير مشارقة، الحياة الاجتماعية عند البدو في الوطن العربي، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، ط1، 1988م.

37) الميداني، عبد الرحمن حسن، الحضارة الاسلامية أسسها ووسائلها وصور من تطبيقات المسلمين لها ولمحات من تأثيرها في سائر الأمم، مج 1، ط 1، دمشق، دار العلم، 1418هـ/1998م.

38) اليوزبكلي مؤيد، البطولة في الشعر العربي القديم قبل الاسلام، دار الشؤون الثقافة العامة، 2008م.

39) ياسين نصير إشكالية المكان في النص الأدبي، بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة، 1408هـ/1986م.

40) النويري، تح قيق احمد بن عبد الوهاب البكري، 1423هـ، نهاية الأرب في فنون الأدب، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ط1، ج19.

ج) الرسائل والأطاريح الجامعية

41) أمل رجيان معيوف القتامي، الوصف في شعر علي بن الجهم، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في الأدب العربي، إشراف الأستاذ حسن محمد باجودة، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، السعودية، 1428هـ.

42) سلمى محمد باحشوان، المكان في شعر طاهر الزمخشري، رسالة ماجستير، كلية أداب وعلوم إنسانية، جامعة ملك عبد العزيز، 1430هـ/2003م.

د) المعاجم والقواميس

43) أحمد مطلوب، معجم الملابس في لسان العرب، مكتبة لبنان، بيروت، 1995م.

44) توني يوسف، معجم المصطلحات الجغرافية، القاهرة، دار الكتاب الجامعي، 1994م.

45) ابن عباد، كافي الكفاءة اسماعيل الصاحب، المحيط في اللغة، 11مج، تحقيق الشيخ محمد حسم آل ياسين، ط 1، بيروت، عالم الكتب، 1414هـ/1994م، ج2، مادة حضر.

46) ابن منظور أبو الفضل جمال الدين محمد (ت 711هـ)، لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، ط1، 1997م، (مادة بدأ).

47) ابن منظور، لسان العرب، إعداد عبد الله كبير، دار المعارف للنشر، كورنيش النيل، القاهرة، 1119.

48) ابراهيم رجب عبد الجواد، 2002، المعجم العربي لأسماء الملابس، ط 1، دار الآفاق العربية، القاهرة.

49) الأصفهاني أبو القاسم الحسين بن محمد، معجم المفردات ألفاظ القرآن الكريم، ضبطه وصححه ابراهيم شمس دين، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية.

50) الأندلسي أبو عبيد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري، 1403هـ، معجم استعجم من أسماء البلاد، عالم الكتب، بيروت، ط3، ج1.

51) أنس ابراهيم، معجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، دار الشروق الدولية، القاهرة، مصر، 2004م.

52) الفاراهيدي (أبو عبد الرحمان الخليل)، كتاب العين 8 مج، تح قيق الدكتور مهدي المخزومي والدكتور ابراهيم السامرائي، ط 1، بيروت مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، 1408هـ/1986م، ج3.

53) الفيروز أبادي (مجد الدين محمد) (ت817هـ)، القاموس المحيط، تحقيق محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط8، 2005م.

ج) المجلات

54) أمل طاهر نصير، فاعلية المكان في بناء القصيدة، مجلة جامعة الملك سعود، مجلة 15، 1423هـ/2003م.

فهرس

الموضوعات

العنوان	الصفحة
مقدمة	أ-ج
المدخل: مفهوم البداوة والحضارة وسماتهما	
أولا: مفهوم البداوة وسماتها	06
1 -مفهوم البداوة لغة	06
2 -مفهوم البداوة اصطلاحا	08
3 -سمات البداوة	11
3-1/ المسكن	12
أ) بيت الشعر	12
ب) الخيمة	13
ب-1/ الحصر والبسط	14
ب-2/ النمارق والستور	15
3-2/ أدوات الطعام والشراب	15
أ) الجفان	16
ب) القدور	17
ج) الدلاء	17
3-3/ الملبس والزينة	17
أ) الملبس	17
ب) الزينة	19
ثانيا: مفهوم الحضارة وسماتها	20
1 -مفهوم الحضارة لغة	20
2 -مفهوم الحضارة اصطلاحا	21

3 -سمات الحضارة	23
3-1/ نماذج من أنواع الملابس وسمتها الحضارية	23
أ) الأتحمي	24
ب) البُرود	24
3-2/ الحلي وأصنافه	08
أ) الجزع	26
ب) الخلخال	26
ج) السوار	27
3-3/ مواطن البناء والعمارة	27
أ) القصور	28
ب) الأطام والحصون	29
الفصل الأول: الشعر العربي القديم بين البداوة والحضارة	
أولا: الشعراء البداة وخصائص شعرهم (امرؤ القيس)	32
1-وصف الليل في الصحراء	36
2- وصف الفرس	37
3- وصف المطر والبرق	38
ثانيا: الشعراء الحضاريين وخصائص شعرهم (امرؤ القيس)	39
1- اللباس	40
أ) الإتب	41
ب) الأتحمي	41
2- زينة المرأة	42
أ) الحلي	42
أ-1/ الجزع	42
أ-2/ الخاتم	42
ب) العطر وأصنافها	43
ب-1/ العبير	43

ب-2/ العود	44
3- فنون البناء	44
أ) القصور	44
ب) المصانع	45
الفصل الثاني: سمات البداوة والحضارة في شعر علي بن الجهم	
أولا: سمات البداوة في شعر علي بن الجهم	48
1 -السمات الطبيعية	49
أ) الليل	49
ب) الواد	51
2 -الحيوان	52
أ) الإبل	52
ب) الناقة	53
ج) الحية	54
د) الكلب	55
ثانيا: سمات الحضارة في شعر علي بن الجهم	57
1 -وصف القصور	58
2 -وصف الفوارة	60
3 -وصف المركب	61
4 -وصف البركة	62
5 -وصف الشطرنج	63
6 -وصف مجالس اللهو	64
الخاتمة	68
قائمة المصادر والمراجع	71
الفهرس	77

ملخص

وَسَمْنا رسالتنا هذه تحت عنوان "السمات البدوية والحضارية في شعر علي بن الجهم" حيث تطرقنا فيه إلى الحياة العربية في العصر العباسي قبل الحضارة وبعدها، وأهم السمات التي جاءت على لسان شعراء العرب الذين عاشوا البيئتين، وقامت هذه الدراسة على فصلين ومدخل سُبق هذا الأخير بمقدمة حيث جاء في المدخل تعريف لكل من مصطلح البداوة والحضارة وسماتهما، أما الفصل الأول ركزنا فيه على الشعراء البداة والحضاريين وأخذنا الشاعر امرأ القيس نموذجا حيث شهد شعره تنوعا بين البداوة والحضارة، أما الفصل الثاني فتطرقنا فيه إلى ديوان الشاعر بن الجهم الذي عاش هو الأخر حياة مزدوجة بين البداوة والحضر ‘ مما انعكس كل ذلك على بناء حسه الشعري وعاطفته وإثراء مخزونه اللغوي، فتنوعت سمات شعره بين وصف الطبيعة البدوية ونمط المعيش هناك فجاء شعره جزلا متينا‘ ثم انتقل إلى الحضر فوصف القصور ومدح الخلفاء بشعر اتسم بالرقة واللين والعذوبة الحضارية وغيرها، وفي الأخير تذيلت دراستنا بخاتمة لخصت أهم النتائج.

Our message was entitled "Bedouin and Civilizational Features in Ali Ibn Al-Jahm's Poetry", where we addressed Arab life in the Abbasid era before and after civilization and the most important features of Arab poets who lived in the two environments, The study was based on two chapters and the entrance to the latter's precedents, with the introduction defining both the term "initialism" and "civilization". The first chapter focused on the poets of Bedda and civilizations and took us as the example of the poet of Al Qais whose poetry witnessed a diversity between Bedouin and civilization, The second chapter addresses the office of the poet Ben Al-Jahm, who also lived a double life between beginnings and urbanization, which is reflected in the building of his poetic sense, emotion and enrichment of his linguistic stock. s way of life ", his hair traits varied from describing Bedouin nature and the pattern of living there to moving to urban, palaces, successors, etc., and, finally, our study was followed by a conclusion that summarized the most important findings.